

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

ط1: 1535095596

ط2: 1535115770

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب حديث ومعاصر

بغنوان:

المأساة في رواية " يسمعون حسيها "

ل: أيمن العتوم

إعداد الطالب(ة):

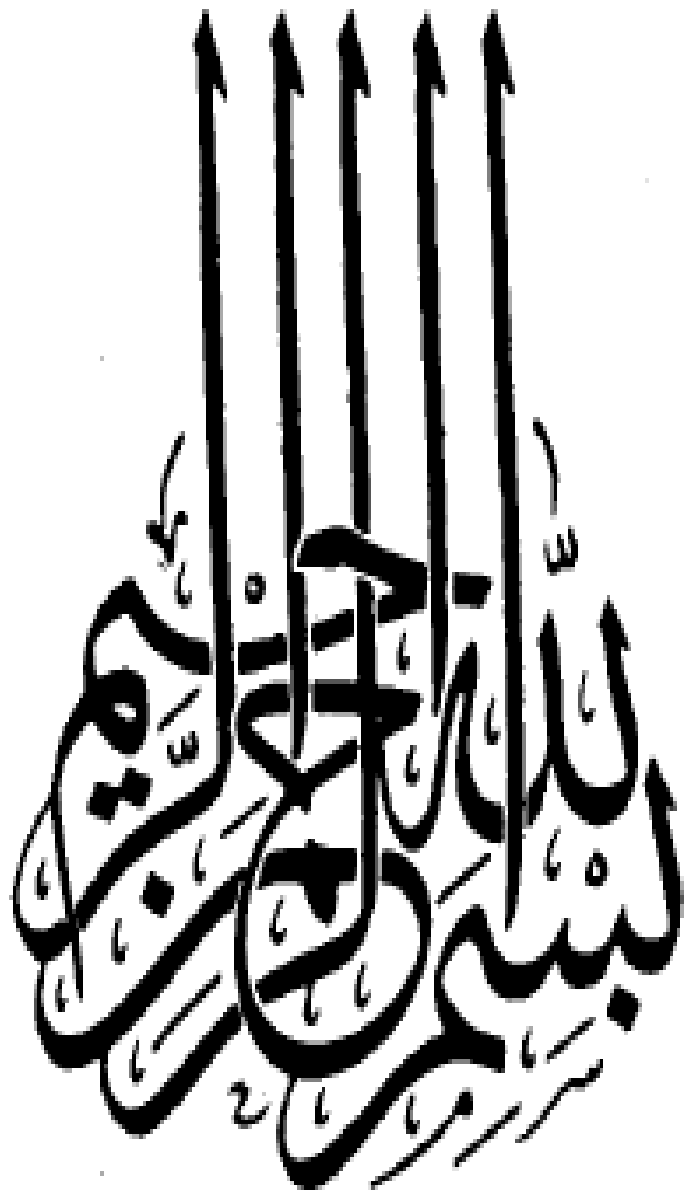
- حنان زهر

- ليلي هماش

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم ولقب الأستاذ
رئيسا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر -أ-	ربيع بوجلال
مُشرفا ومُقررا	جامعة المسيلة	أستاذ مساعد -أ-	عبد الرحيم بحري
مناقشا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر -أ-	سليمان بوراس

السنة الجامعية: 1440 - 1441هـ / 2019 - 2020م



شكر وعرقان

وما توفيقني إلا بالله رب العالمين

قال الله تعالى : { رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ }
سورة النمل الآية 19.

الحمد لله الذي وفقنا لإتمام هذا العمل المتواضع الذي نتمنى أن يكون في المستوى

ونتوجه بحضيم الشكر والامتنان والتقدير إلى أستاذنا الفاضل

عبد الرحيم بحري

لما أولاه من اهتمام عظيم , وما تفضل به علينا من نصائح وإرشادات وتوجيهات , فجزاه
الله خير جزاء , وجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة , دون أن ننسى شكر لجنة
المناقشة التي ساهمت في تقويم هذا العمل .

شكر خاص إلى كل أساتذتنا من كلية الآداب واللغات الذين أناروا لنا الطريق في
سبيل الوصول إلى هذا المقام , والذين أشرفوا على تدريسنا كما لا ننسى مدير الكلية
وجميع العاملين والقائمين على إدارة الكلية نتقدم لهم جزيل الشكر والعرقان , وإلى
كل من قدم لنا يد العون والمساعدة .

مَقْدَمَةٌ

مقدمة:

الحمد لله معلّم الإنسان ما لم يعلم، ومُنزّل القرآن الكتاب الأعظم، المعجز بنظم آياته وتناسب سُوره وفواصله، فهو رسالة الإسلام الخالدة على مرّ الأزمان، وسرّ من أسرار البلاغة والبيان، والصّلاة والسّلام على الحبيب المصطفى وعلى آله وصحبه الميامين الشرفاء، وبعد:

تحتل رواية السيرة الغيرية - إلى جانب رواية السيرة الذاتية - أهمية بالغة في الأدب وفي الدراسات النقدية لواقعيتها من جهة، ولما تتيحه للقارئ العادي والقارئ الفاعل - سواء أكان مثقفا تقليديا أم مثقفا عضويا - من إمكانية الاطلاع على التجارب الحياتية للآخرين، وما توثقه من تاريخ للمغيّبين من جهة ثانية، حتى قيل: إذا كان التاريخ يكتبه الأقوياء فإن الرواية تاريخ من لا تاريخ لهم، ولأن أيمن العتوم درج في كتاباته الروائية أن ينقل لنا سير المظلومين من مسحوقين ومقهورين كانوا ضحايا أنظمة شمولية بوليسية، ارتأينا أن نسلط الضوء على إحدى أبرز رواياته التي تروي سيرة غيرية واقعية، وعند قراءتها مرارا وتكرارا تبلور في ذهنينا موضوع: "المأساة في رواية: يسمعون حسيها؛ معاشيات سجين تدمري 1980-1997 ل: أيمن العتوم" فكان عنوانا لدراستنا.

ولقد كان من أسباب اختيارنا لهذا الموضوع شغفنا بكتابات هذا الروائي من جهة، وفضولنا المزمّن إلى معرفة خلفيات الأفكار والحوادث، والوقوف على تبعاتها من جهة ثانية، ثم زعمنا - في حدود علمنا - غياب دراسات أكاديمية بحثت - من منظور معرفي فلسفي - ما أوحى به قريحة هذا المبدع فأبدعته أنامله.

ثم إننا في هذه الدراسة نهدف إلى الإجابة عن إشكالية جوهرية ألا وهي:

كيف تتجلي مظاهر المأساة عند الشخصية في الرواية الموسومة أعلاه ؟ ما مسبباتها وطبيعة آثارها النفسية ؟

وسعياً منا إلى تحقيق ذلك جاءت خطة البحث مقسّمة إلى فصلين سبقتهما مقدّمة، ولحقتهما خاتمة هي حوصلة لأهم النّاتج التي توصلنا إليها، لتليها مجموعة من الملاحق والفهارس.

أما الفصل الأوّل فهو: دراسة نظرية جاءت في مبحثين، الأوّل بعنوان جوهر الكيان المأساوي، تحدّثنا فيه عن الفرق بين المأساة والمأساوي، كما تطرّقنا إلى ماهية البطل الإشكالي، ومفهوم الاغتراب مع تعداد أنواعه، والثاني عنوانه بالقلق الوجودي بين السببية والحتمية وعالجنا فيه الوجودية والقلق الوجودي، وأهم المبادئ التي تبنى عليها الوجودية.

وأما الفصل الثّاني فجاء في شكل دراسة تطبيقية لمختلف الأسباب (البطل الإشكالي، الاغتراب) والآثار النّاتجة عنها (القلق الوجودي، القلق الوجودي) وبيان تمظهراتها وتجلياتها في الرواية/ مصدر الدراسة.

وحيث المتعارفُ عليه في أدبيات البحث الأكاديمي في مجال الدراسات النقدية أن طبيعة الموضوع هي ما تفرض شكل المنهج، كان المناسب اتخاذ مقولات الفلسفة الوجودية وبعض مقولات علم النفس منطلقاً منهجياً قاربنا عبره نصّ الرواية/ مدونة الدراسة.

وكلّ الباحثين فإنّه قد واجهتنا جملة من الصعوبات والعراقيل كان أهمّها: عدم إمكانية الالتقاء مع زميلتي في البحث ومع الأستاذ المشرف نظراً للظروف الرّاهنة التي تعيشها البلاد في ظلّ انتشار فيروس (كوفيد-19)، إضافة إلى صعوبة التنقّل إلى المكتبات من أجل توفير العدد الكافي من الكتب والمراجع عن الموضوع.

الفصل النظري

اصطلاحات ومفاهيم في منهجة الدراسة

المبحث الأول: جوهر الكيان المأساوي.

المطلب الأول: المأساة والمأساوي تداخل المفهومين وافتراقهما.

أولا/ عند ارسطو:

المأساة عند ارسطو مسرحية ذات نهاية حزينة يحاكي فيها الممثلون الواقع، وتنتهي بالموت الحقيقي للبطل، مثيرة بذلك عاطفة الشفقة مستهدفة التطهير (Catharsis)¹.

ثانيا/ عند جان راسين:

خلاف لارسطو لا يشترط جان راسين الموت الحقيقي للبطل في المأساة، ويكفي عنده أن تكون المشاعر مستثارة، والأشخاص بطوليون².

وهنا يمكننا أن نوضح . انطلاقا من مضمون الرواية مدونة الدراسة، وبناءً على ما هو مقرر عند ارسطو وجان راسين في موضوع المأساة أن مقصودنا بالمأساة في هذه الدراسة، سيكون مدلولاً لمأساوي وليس التراجيديا، والمأساوي من وجهة نظرنا هو كل سيرورة في الاحداث ينجم عنها مفارقة وتناقض مضاف اليها موقف مأساوي ينتهي بإثارة مشاعر الندم والحسرة قياسا على ما اصطلح عليه ارسطو بالتطهير (Catharsis)

المطلب الثاني: البطل الاشكالي والاعتراب.

أولا / البطل الاشكالي

ونعني به كل شخصية ورقية تتمحور الاحداث حولها. فهي بطلة من هذه الزاوية. ترفض واقعها استنادا الى مُثُلها، وفي مقابل ذلك تعجز عن تغييره وتكريس تلك المثل ما

¹ - ي: ارسطو: فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، دار هلا للنشر، القاهرة، 2014، ص 111.

² - ي: عبد الواحد لؤلؤة: موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983، ص

يجعلها تعيش صراعا نفسيا مريرا يتأزم لينتهي في الغالب الي فقدانها طعم الحياة ومعناها في ذلك المجتمع الموبوء من وجهة نظرها¹، فهل المعضلة في مُثله التي لا يمكن انزالها على الواقع ام تكمن في نمط شخصيته؟ ام ان الأمر يتعدى كلاهما الى عصاب المّ بهذا البطل؟... لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال ان يكون المجتمع كله موبوءًا، وعلى فرض ذلك فلا بد ان يقاسم هذا البطل غيره ممن لم تصبهم الجائحة بعد، اذ حتى الأنبياء في أشد الأقسام فسادا كان لهم حواريون.

إن البطل الاشكالي - ويسميه بعضهم المعضل - شخصية تعيش رومانسية مع مُثَلها، بل تعيش اشتهاً جامحا لحياة مثالية تتعارض والواقع، وعلى الرغم من هذا الاشتهاء يدرك تمام الادراك استحالة تعايش ذاته على ماهي عليه مع محيطها،² وما يمكن فهمه ان هذا البطل يدرك مكنم الخلل وان موضعه هو ذاته، فهو متصلب غير مرن لا يستطيع ولا يحاول النظر الى السّم على انه ترياق، ولا الإفادة من نصف الكأس المملوء ويكتفى بفهم واقعه، ويغفل عن فهم ذاته، ولهذا نجد بطولته تقتصر على تعرية فساد الواقع دون إصلاحه، وهو موقف يضعه موضع الراغب الحالم، لكن في الوقت نفسه يحشره في شلّة المُثبطين المُكبلين العجزة، انه بطل من جهة نيته لا غير، سلبي من كل ما سواها، لأن الحياد هو عقيدته علميا³.

وما يمكن ان نستنتجه مما سبق ان البطل يعيش في دوامة عنوانها الاغتراب، اغتراب عن ذاته التي لم يفقه حقيقتها، وتوهم فهمه لها فصنع او نسج لها مُثلاً غريبة في جوهرها: لان النفس نتاج عصرها وبيئتها، واغتراب عن محيطه الخارجي الذي لم يَسِرْ غوره، ويستوعب كنهه، فما من موجود الا واصطبغ بسمات الخير والشر، والشر

¹- Voir : Georges Lukacs: the Théory to the novel, Ed: Gonthier, Paris, 1979, P:73.

² - ي: اعتدال عثمان: البطل المعضل، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج2، ع2، 1982، ص92.

³ - ي: محمد عزام: البطل الاشكالي في الرواية العربية المعاصرة، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، 1992، ص 11.

يمكنه ان يستحيل خيرا إذا أدركنا آلية عمله، وطوعناه لصالحنا، وانا اذ نكتشف علاقة هذا الكون من الابطال الورقية بالاغتراب نتساءل عن دلالات الاغتراب وتطور مفهومه.

ثانيا / الاغتراب(الاستلاب)

قبل البدء في مناقشة مفهوم الاغتراب نود ان نشير الى ان اول من طرق هذا المبحث هم فلاسفة العالم الغربي، فهذا جون جاك روسو، الذي نظن انه أكثر من ناقشه بوضوح ودقة عالية وبحثه بحث جامعاً مانعاً، يميز بين أنواع خمسة من الاستلاب(الاغتراب):

1/استلاب الملكية عند نقل الحقوق: وهو اغتراب عن الأملاك عند غيابها.

2/استلاب الحرية والاغتراب عنها.

3/استلاب الانسان واغترابه عن مخرجات الحضارة ونتائج التقدم.

4/اغتراب الانسان عن طبيعته الاصلية.

5/وأخيرا اغتراب الانسان عن الانسان¹.

ففي النوع الأول يغترب الانسان عن املاكه فتصبح غريبة عنه إذا هو نقلها طوعا او كرها، بمقابل او بدونه، وفي النوع الثاني، يغترب الانسان عن حريته إذا استلبت منه، ولا يشك عاقل ان الانسان حر بطبعه، ولهذا لا يمكنه ان يتنازل عن حريته طوعا ويختار العبودية، وإذا حدث مثل ذلك فهو اما تحت اكراه مادي(بالقوة)، او اكراه معنوي؛ اكراه الأفكار المغلوطة والخيالات الموهومة والعجز عن كسب لقمة العيش، او لنقل بلغة اوضح وأكثر دقة من غير موارد، اقناع النفس بالعجز.

¹ - ي: فالج عبد الجبار: الاستلاب (هوبز، لوك، روسو، هيغل، فويرباخ، ماركس)، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2018، ص:55-57.

اما النوع الثالث تعريف لرجاء روجي غارودي ضمن أي الاغتراب الذي معناه ازدواج الانسان الذي خلق رموزا ومؤسسات ولم يعد يتعرف عليها وهي نتاج لنشاطه فاصبح يعتبرها مستقلة عن انسانيته وصعبة المنال¹ فيحدث عندما يسهم الانسان بشكل او بآخر في انتاج مخرجات للحضارة والتقدم قيما كانت ام سلعا، ثم شيئا فشيئا تصبح تلك القيم او السلع تتحكم في سلوكاته ومجمل حياته، فكأنما به بعد ان اوجدها ليخضعها ويخضع بها الطبيعة، اخضعته لها فأصبحت آلهة يعبدها، وهو الذي سعى منذ عصر الانوار لاغتيال الله . سبحانه وتعالى عما يصفون . وإلغاء فكرة العبودية للخالق عبر الترويج لمقولة "موت الإله".

واما النوع الرابع: فيحدث عندما تتفصل مثل الانسان وسلوكاته عن جوهره من حيث هو انسان، عندما لا يتصالح الفرد مع ذاته وحقيقتها، أي عندما لا يعي المرء حقيقة وجوده وماهيته، داخله وكنهه؛ قدس اقداسه.

فاذا اتينا الى النوع الخامس وجدنا حال المجتمعات الغربية المُغرقة في الفردانية اصدق تعبيراً عنه، ويحدث عندما يُمسي العمل قيمة في حد ذاته والسلعة جَوْهْرُهُ وتستحيل العلاقات الإنسانية مجرد بروتوكول لتحقيق العمل وخلق السلعة بمعنى تشيؤ العلاقات الإنسانية اي ان الانسان يصبح لا يفهم اخاه الانسان الا ضمن معادلة القيمة المضافة، وندقق هنا اكثر لان المعنى اللغوي قد يفهم إيجاباً، فنقول: عندما توزن العلاقات بما يمكن ان يقدمه الاخر من متع مادية محضة، فتستحيل الصداقة ما يستطيع ان يقدمه للأخر من خدمات وتتحول العلاقة الحميمة في شقها المادي المحض و فقط ممارسة للحب، وتزول مفاهيم مثل الاخوة والابوة والأمومة وتظهر أخرى مثل الأب او الأم البيولوجية فلا حول حينئذ ولا قوة الا بالله.

¹ - جلال الدين سعيد: المعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004، ص 25-26.

هذا كله عند الفلاسفة، اما علماء النفس فلهم تقسيمات أخرى تتقاطع حيثيا مع تقسيمات الفلاسفة، وتتفصل أحيين أخرى، سنقتصر فقط على ما يمكن ان نصلح عليه تجوزاً استدراك على تقسيم جون جاك روسو، فنقول ان هناك معان أخرى للاغتراب، أبرزها المعنى الديني: ويقصد بالاغتراب حينئذ انفصال الانسان عن الله بارتكابه الخطيئة... والمعنى الاجتماعي، ويقترّب من معنى الانسلاخ عن الذات الاجتماعية... والمعنى السيكولوجي، ويقصد به وضع الانسان الذي انفصل عن عقله، انه تصدع ذهني، وحالة لا وعي، كما يشير الى اغتراب الشخصية بمعنى الانفصال عن الذات¹، وهناك مدلول اخر يمكن ان نصلح عليه "معنى منهجيا" للاغتراب نستشفه من قول جورج جسدروف (G.Gusdrof) حين يصرح: " اخشى ما اخشاه هو الاستلاب الفكري، الذي يترك سبيل العالم العيني ويجرى وراء أوهام الخطاب"²

بمعنى انه استلاب في منهجية التفكير واغتراب عن المنهج العلمي الصرف المستمد والمستخلص من الحياة بمختلف مظاهرها والطبيعة بمختلف ظواهرها، ويحدث عندما يعزف الانسان عن النظر والتدبر في ملكوت الله، نواميس الحياة وقوانين الطبيعة والكون، ويستعيز عنها بالخطاب - الذي لن يكون في غالبه الا مآدلاً - ركضا وراء امتلاك المعرفة واستجداءً للحكمة، وليس معنى هذا الا ينظر في الخطاب ولكن معناه ان يكون العالم الخارجي بموجوداته هو المبدأ ونقطة الارتكاز التي ننطلق منها ونعود اليها لنختبر صدق فرضيات الخطاب من عدمها، بمعنى ان يكون الواقع المباح والممكن ادراكه بارومترا لقياس خطاب المعرفة وغيره، لأن الخطاب نتاج الانسان والانسان مهما اغرق في الموضوعية يبقى مخلوقا ذاتيا بامتياز، اما موجودات الكون نواميسه وقوانينه، فهي موضوعية مطلقا.

¹ عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، القاهرة، 2003، ص 25-26.

² جلال الدين سعيد: المعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، المصدر السابق، ص 37.

أخيرا وفي ختام هذا المطلب والمبحث لفت انتباهنا ترجمة العرب لمصطلح (ALIENATION) تارة باستلاب وتارة باغتراب، بل واستخدامها عند المترجم الواحد مقابلا للمفهوم الغربي للفظه أعلاه، وهنا نبهنا الأستاذ بحري الى فائدة لطيفة وفرق جوهرى دقيق قلما يتنبه له قارئ عربي، اللهم أولئك ربما - الذين يقرئون المراجع في مضامينها بلغتها الأوروبية الاصل، وعلى كل اللطيفة مضمونها: بما ان للاغتراب اشكالا فإننا سنضع مصطلح استلاب مقابل للمفهوم الذي يفيد فقدان حاصل على وجه الاكراه بُدَاءً مثل الملكية او الحرية، ومصطلح اغتراب مقابل لما يفيد فقدان حاصل على وجه الاختيار بُدَاءً وان كان ذلك الفقدان تحت ضغط الاكراه الذي تمارسه على الانسان اختياراته.

المبحث الثاني: القلق الوجودي بين السببية والحتمية:

أولا/ الوجودية: ماهيتها (تعريفها):

كان ظهور المدرسة الوجودية بعد الحرب العالمية الثانية،¹ والوجودية حركة فلسفية قديمة في تاريخ الفكر الإنساني حيث ترى الكائن من الجانب الحقيقي له، والتي تحدد عن طريق الوجود في مرحلة معينة وتتميز بالاستخفاف بالمجردات، وتقديس التجربة الإنسانية الفردية وتأكد على أهمية الشخص الفردي.²

تعتبر الوجودية أحدث وأقدم المذاهب الفلسفية، حديثة لأنها ذات مركز الصدارة والسيادة تعبر عن القلق العام بشكل صادق، الذي حدث للعالم بعد الحرب العالمية الأولى والثانية.³

¹ - قاسم صالح: الإبداع في الفن، دار دجلة، عمان، 2011، ص 68.

² - ابراهيم السيد: قاموس علم الاجتماع وعلم النفس، دار البداية، عمان، 2013، ص 51.

³ - عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980، ص 19.

المذهب الوجودي من الفلسفات الحديثة، وكيركجارد هو المؤسس الحقيقي لهذا المذهب، بينما دوستوفسكي، فرانز كافكا، هايدجر وجون بول سارتر هم من الفلاسفة الوجوديين، ير المذهب الوجودي الإنسان كموجود (هنا و الآن)، أما الحياة عند سارتر فهي تتغلغل في الإنسان ومن المشاعر التي تصف الإنسان في الدنيا القلق والاعتراب، ولا مفر للإنسان من تقبل هذه المشاعر بشرط أن تتخذ كدافع للتعبئة من أجل تحقيق الوجود الأكمل، حيث عندما يواجه الإنسان القلق يشعر وكأنه مهدد بالفناء، وهو يعمل من أجل التوصل إلى أقصى نطاق حدود الزمن الذي يفرضه الواقع.¹

ثانيا/ مقولاتها (مبادئها):

الفلسفة الوجودية تقوم على عدة مبادئ تتلخص كآتي:

أ/ الوجود:

إن الإنسان يوجد أولا ثم يتعرف إلى نفسه، ويحتك بالعالم الخارجي فتكون له صفاته، ويختار لنفسه أشياء هي التي تحده، فإذا لم يكن للإنسان في بداية حياته صفات محددة فذلك، لأنه قد بدأ من الصفر بدأ ولم يكن شيئا، وهو لن يكون شيئا إلا بعد ذلك، ولن يكون سوى ما قدره لنفسه... إن الإنسان يوجد ثم يريد أن يكون، ويكون ما يريد أن يكون ما يريد أن يكونه بعد القفزة التي يقفزها إلى الوجود.

الإنسان ليس ما يصنعه هو نفسه، هذا هو المبدأ من مبادئ الوجودية، وهذا ما يسميه الناس² << ذاتيتها >> مستخدمين هذه الكلمة ليوجهوا بها النقد إلينا، لكننا لا نعني بها سوى أن للإنسان كرامة أكبر مما للحجارة أو المنضدة، لأننا نعني أن نقول إن الإنسان يوجد أساسا. ثم يكون، شيئا يمتد بذاته نحو المستقبل، وهو يعني أنه يمتد بها إلى المستقبل

¹ - عطية محسن: المذهب الوجودي، القيم الجمالية في الفنون التشكيلية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001، ص 230-239.

² - جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، تر: عبد المنعم الحنفي، مطبعة الدار المصرية للطبع والنشر، القاهرة ط1، 1964، ص 14.

فالإنسان مشروع، مشروع يمتلك حياة ذاتية، بدلا من أن يكون شيئا كالطحلب، وقبل أن يكون الإنسان مشروعا لم يكن هناك ما يوجد منه ولا حتى في السماء الذكاء إن الإنسان لن يحقق لنفسه الوجود، ولن يناله إلا بعد أن يكون ما يهدف إلى أن يكونه لأن ما نفهمه عادة من الرغبة أو الإرادة، هو أنها قرار واعي نتخذه- غالبا- بعد أن أنظم إلى حزب من الأحزاب أو أن كتب كتابا أو أتزوج. لكن في حالة كهذه فإن ما يسمى عادة باسم إرادتي إن هو إلا الممارسة الطبيعية لقرار مسبق اتخذته عفوا¹... وإذا كنا سنشكل الصورة التي سنكون عليها أثناء وجودنا، فهذه الصورة لن تكون واقعا نحن فقط، ولكنها ستكون كذلك واقع كل الناس المحيطين بنا، والعصر كله الذي نجد فيه أنفسنا.²

ب/ العدم:

إن الوجودية تقول إن عدم وجود الله معناه عدم وجود القيم المعقولة كذلك، وعدم وجود الخير بصفة مسبقة قبلية، لأن عدم وجود الله معناه عدم وجود وجدان كامل لامتناه يعقل ذلك الخير، وهكذا يصبح القول بوجود الخير، أو بوجود الصدق والنزاهة، قولاً لا معنى له، لأننا نصير حيال وجود إنساني بحت لا دخل فيه لوجود الله أو لقيم مصدرها الله. ولقد كتب << دستويفسكي >> مرة (إن الله إذا لم يكن موجود فكل شيء صباح) وما كتبه دستويفسكي هو النقطة التي تنطلق منه الوجودية وإلى نعتقد فيها إنكار وجود الله يعني أن كل شيء يصير فعلا مباحا، و أن الإنسان يصبح وحيدا مهجورا داخل ذاته أو خارجها أية إمكانية يتشبث بها ويكتشف فيها أن لا عذر له.³

¹ - جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، المرجع السابق، ص15.

² - نفسه: ص 17.

³ - نفسه: ص25.

ج/ الماهية:

لو تناولنا أيا من الأشياء المصنوعة. مثلا هذا الكتاب, أو سكين من السكاكين نجد أن سكينه قد صنعها حرفي, وأن هذا الحرفي قد صاغها طبقا لفكرة لديه عن السكاكين, وطبقا لتجربة سابقة في صنع السكاكين, وأن هذه التجربة أكسبته معرفة هي جزء لا يتجزأ من الفكرة المسبقة التي لديه عن السكاكين, والتي لديه عن السكين التي سيصنعها, وأن الصانع كان يعرف لأي شيء تستخدم السكين, وأنه صنعها طبقا للغاية المرجوة منها, وإذن فماهية السكين. مجموعة صفاتها وشكلها وتركيبها والصفات الداخلة في تركيبها وتعريفها.¹ كلها سبقت وجودها... لا بد أن يمر على مراحل عدة في الإنتاج ونحن نفكر في الله كخالق, نفكر فيه طول الوقت على أنه صانع أعظم, ومهما كان اعتقادنا, سواء كنا من أشياع <<ديكارت>> أو من أنصار <<ليبنتز>>, فإننا لا بد أن نؤمن بأن إرادة الله تولد أساسا, أو على الأقل جنبا إلى جنب مع عملية الخالق, بمعنى أنه عندما يخلق فهو يعرف تمام المعرفة ما يخلقه, حتى وجدنا فكرة الماهية مازالت مسيطرة على أذهان الكثيرين, فنجدها عند <<ديدرو>> وعند <<فولتير>> وحتى عند <<كانت>>, فالإنسان له طبيعة بشرية, وهذه الطبيعة البشرية هي ما يصاغ عليها الإنسان, وهي ما يتسم به كل إنسان أو يشترك في صفاتها مع غيره من البشر, وبذلك تكون الإنسانية كلها, أو أفرادها, قد خلفوا طبقا لفكرة عامة, أو مفهوم عام أو نموذج عام, يجب أن يكون عليه البشر.²

د/ الحرية:

أستطيع أن أصدر حكما أخلاقيا: بأن الحرية في الظروف العينية لا يمكن أن تكون بها غاية أو هدف آخر خلاف نفسها, وإذا ما اعترف الإنسان مرة بأنه مبدع القيم وخالقها, فإنه لن يطلب شيئا واحدا فقط وهو الحرية: سينادي بالحرية أساسا لكل القيم,

¹ - جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، المرجع السابق، ص 11.

² - نفسه: ص 12-13.

وسوف يطلبها طالما أنه في وحدته والعزلة التي يعيش فيها، لن يجد ما يطلبه سوى أن ينادى بها.¹

ولكن هذا لا يعني أنه يطلبها في حالتها المطلقة، بل لأجل نفسها: لأنها حرية... إننا نمارس الحرية من أجل الحرية، وسوف نطلبها من خلال ظروف معينة؛ وبسعينا خلف الحرية من أجل الآخرين، وأن حرية الآخرين تتوقف على حريتنا والحرية من حيث هي تعريف بالإنسان هو الكائن الذي يسبق وجوده ماهيته، وأنه لذلك حر، ولا يستطيع يريد حريته في مختلف الظروف، ومن ثم فلا يستطيع إلا أن يريد حرية الآخرين، فإنني باسم تكوين أحكام أصدرها على كل من تحدثه نفسه على أن يتخلى عن المسؤولية وجوده وطمس معالم حريته. والذين يطمسون حريتهم الكاملة بحجة أنهم لا يريدون الحرية، وإنما يريدون أن يعيشوا الحياة متزينين جادين، أو بحجة أنهم كانوا مضطرين تحت ضغط ظروف قدرية حتمية، هؤلاء ندعوهم جناء.

هـ/ الاختيار:

وهو يعني من ذلك أن الإنسان عندما يلزم نفسه تجاه شيء ما، ويدرك في نفس الوقت أن اختياره سيكون اختيارا لما سيكونه، ففي لحظة كهذه لا يمكن للإنسان أن يهرب من الإحساس بالمسؤولية الكاملة العميقة...²

وهو إذ يقر قراره ويصل إلى حل، فإنما يفعل ذلك والقلق يملأه، قلق من نوع خاص، وكل القادة يعرفون هذا القلق بل هو على العكس صميم ما يأتونه من تحرك وما يصدرونه من تصرفات، لأن الحركة تفترض بقاء وجود العديد من الإمكانيات، وفي

¹ - جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، المرجع السابق، ص 57.

² - نفسه: ص 18.

اختيار القائد لإمكانية منها دون الباقيات, فيه إعلاء لقيمة هذه الإمكانية على قيمة ما عداها, وإلا ما كان قد اختارها...¹

إن الطالب قد أبدع قانونه بنفسه, وهو إذا بقي مع أمه متخذاً العاطفة أساساً أخلاقياً, أو التحق بالقوات المحاربة... مؤثر التضحية فنحن لن نقول عنه أنه قد اختار اختياراً لا مسؤولية فيه, لأن الإنسان يبدع نفسه, وهو لم يجد لنفسه مصنوعة ((على الجاهز)) إنه يبدع نفسه باختياره لا أخلاقيته, وهولاً يمكن إلا أن يختار شرعة من الشرائع الأخلاقية, لأن هذا هو منطق الظروف التي لن تسمح له بعدم الاختيار...²

ولكن الحكم على الآخرين ممكن من جهة أخرى, لأن الإنسان كما قلنا من قبل يختار وفي ذهنه الآخرون, وهو يختار نفسه وفي ذهنه الآخرون, ونحن نستطيع أن نحكم أولاً الاختيار: هل هو صواب أم خطأ؟ ونحن هنا ليس حكماً على قيمة, ولكنه حكم منطقي, ونستطيع أن نحكم على الإنسان ما أن نقول إنه يبدع نفسه...³

و/ المسؤولية:

القلق الذي نعنيه هنا ليس القلق الذي يؤدي إلى الاستكانة واللا فعل, لكنه القلق الصافي والبسيط من النوع الذي يعرفه, كل من تحمل المسؤولية من المسؤوليات, مثلاً: عندما يتحمل القواد المسؤولية إحدى الهجمات... وهذا النوع من القلق الذي يلزمهم القلق إنه ليس بحاجة يفصلنا عن العمل, ولكنه جزء من العمل وشرط لقيامه...⁴

¹ - جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني, المرجع السابق, ص 22-23.

² - نفسه: ص 54-55.

³ - نفسه: ص 56.

⁴ - نفسه: ص 22.23.

والإنسان محكوم عليه بالحرية محكوم لأنه لم يخلق ذاته، وهو حر لأنه قد صار مسؤولاً عن كل ما يفعل بمجرد أن تواجد في العالم...¹

السقوط فرار من القلق لان القلق يهدد وجودنا بأسره، ويعزلها أنفسنا بحيث نشعر بهذه العزلة شعوراً حاداً يختفي معه كل ما يمكن أن يعتمد عليه الإنسان في وجوده، وتجنم عليه الوحدة ويحس بالغرابة إحساساً عميقاً وينتابه شعور بعدم الاستقرار فيجد نفسه مرغماً على اختيار ذاته وأن الموقف قد حان لتحمل المسؤولية الملقاة على عاتقه...²

والناس حين تقرأ أدبنا يحسون أننا نجعل الجبان مسؤولاً عن جبنه، وهذا ما يفزعهم فينا لقد كانوا يفضلون أن ترسم الناس إما جبناءً أو بطولتهم لأنهم ولدوا هكذا...³

وعلى العكس يؤمن الوجودي أن الإنسان مسؤول عن كل ما يصدر عنه من عاطفة، وأنه لا يمكن أن ينسب ما يصدر عنه إنما هو الذي يفسر ويؤول هذه الغيبيات كما يحلو له ويروقه، وهو يؤمن أن كل فرد محكوم عليه أن يبدع الإنسان الذي هو نفسه، وكما قال: < بونج > في مقال رائع له (إن الإنسان هو مستقبل الإنسان).⁴

ي / الموقف:

إذا ظن أحد أن هذه النظرية ليست سوى نظرية ((أندري جيد)) في الفعل المجاني أو الفعل العفوي، لكان خطأً بالغا؛ ذلك لأنه لم يستطع تبين الاختلاف الضخم بين هذه النظرية ونظرية أندري ((أندري جيد))؛ فجيد لا يعرف معنى إصلاح موقف، وليس فعله سوى هوى خالص؛ أما أنا فعلى عكس ذلك، أرى أن الإنسان موضوع في موقف، أن

¹ - جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، المرجع السابق، ص 26.

² - نفسه: ص 35.

³ - نفسه: ص 42.

⁴ - نفسه: ص 26.

موقفه منظم، وأنه توريط فيه واختياره يورط البشرية في مجموعها، وهو لا يمكن أن يتزوج دون أن ينجب، وإما أن يتزوج و ينجب ...¹

وما دمنا قد عرفنا موقف الإنسان بأنه موقف يمارس فيه الاختيار الحر، ولن يجد له مساعدة، فإنه لو احتذى خلف عذر عواطفه أو خلف أي نظرية جبرية، يكون إنسانا مخادعا لنفسه.²

ز/ الالتزام:

الإنسان يلتزم في حياته، وهو في التزامه يرسم صورة ما سيكون عليه وجوده، وكل ما يمكن أن يكون عليه هذا الوجود يرسم الإنسان داخل هذه الصورة، لكنه لا يصنع شيئاً كان من الممكن أن يكونه خارج الصورة وهذه الفكرة السابقة قد تبدو قاسية بالنسبة لرجل عانى الفشل في حياته، لكنها فكرة كان لابد منها، لأنها توقظ الناس على الواقع وتهيئهم لفهمه، فيفهموا أن الأحلام والآمال تحدد الإنسان سلبياً، لأن الآمال إما لم تحقق بعد، وإما أجهضت وفشل تحقيقها والآلام في دعة، فهي سلبية وليست إيجابية.³

وما تريد الوجودية توضيحه هو تلك الصفة المطلقة للالتزام الحر، الذي به يحقق كل إنسان نفسه بتحقيقه لنموذج من نماذج البشرية، هذه الصفة هي قلب ومركز الوجودية، والالتزام هنا هو التزام مفهوم...⁴

وإنما المهم أن نوضح العلاقة بين هذه الصفة المطلقة للالتزام الحر، وبين نسبية النموذج الثقافي الذي قد ينتجه هذا الالتزام المطلق.

¹ - جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، المرجع السابق، ص 52.

² - نفسه: ص 56.

³ - نفسه: ص 40.

⁴ - نفسه: ص 49.

وهنا يجب أن نلاحظ نسبية < الديكارتية > والصفة المطلقة التي لالتزامها؛ وهكذا نجد نستطيع أن نقول أن كلا منا يعيش المطلق وهو يتنفس ويأكل وينام، أو هو يتصرف التصرف الذي يريده مهما كان ، فلا فرق بين الكينونة الحرة. الكينونة كملتزم للذات، كوجود يختاره وجوده. وبين الكينونة المطلقة والأخلاق أبداً بين الكينونة كمطلق، وبين التعيين بشكل وقتي في المكان، أي متعينا في التاريخ. وبين كونه موضوعاً للفهم لكل الناس.¹

أما أنا فأجيب قائلاً إنني اتكل على رفاقي في النضال بمقدار التزامهم معي بقضية عامة محددة هي الحزب أو في جماعة يسهل الإشراف عليها وأكون عضواً فيها مطلعاً على حركاتها في كل لحظة عندئذ يكون اتكالي على وحدة الحزب أو الجماعة تماماً كاتكالي على مجيء القطار في الوقت المحدد.²

ثالثاً: القلق الوجودي وعلاقته بالوجودية:

أ/ القلق الوجودي:

القلق في نظر الوجوديين خيرة آنية لا علاقة لها بالماضي، ويعتبر شيئاً خاصاً بالمستقبل وله وظيفتين هما محاولة تشكيل الواقع بطريقة مختلفة تخفف وطأة الحياة على الفرد ومحاولة تعديل أو تصحيح الواقع ليبدو منسجماً ومعقولاً، أما غاية القلق الوجودي فمرهونة بدرجة وعي الإنسان، فالوجوديين يفترضون علاقة وثيقة إيجابية بين القلق الوجودي ووعي الإنسان، فالوجوديين يفترضون علاقة وثيقة إيجابية بين القلق الوجودي ووعي الإنسان فقد فسّر بوبوفك القلق الوجودي بأنه الهم الحاصل نتيجة كثرة التفكير وغاية القلق الوجودي هو إضفاء المعنى على الحياة، وأن وجود هذا المعنى من الحياة لا يلغي القلق الوجودي، بل يوقفه عند حدود معينة ذلك لأن القلق الوجودي لا سبيل إلى اجتنابه، فإن

¹ - جان بول سارتر: الوجودية مذهب إنساني، المرجع السابق، ص 50.

² - نفسه: ص 36.

عجز الإنسان عن إيجاد المعنى من الحياة فسوف يقع فريسة لقلقه الوجودي العميق الذي ينتهي إلى الفراغ.¹

لا يقصد بالقلق الوجودي القلق العصابي الذي يدل على اضطراب انفعالي، وإنما يقصد به ذلك النوع من القلق اليسير الذي ينتاب كل الذين يتحملون مسئوليات وجودهم² إننا نلاحظه عند الطالب قبل دخول الامتحان، ونجده عند الكاتب قبل أن تنشر مؤلفاته، وعند الطبيب قبل دخوله غرفة العمليات، إنه ليس توتر بين الآن والمستقبل، وهذا ما يذهب إليه بيرلز في قوله: " إن القلق هو الهوة بين الحاضر والمستقبل عانيت من القلق"، ويرى يالوم أن قلق الموت هو صميم القلق الوجودي، ويعني به القلق إزاء فكرة انتهاء وجود الإنسان بوصفه كينونة بكل ما تتطوي به الكينونة من معان وجوانب.

ويعطي القلق الوجود ما يميزه، بل أنه يكتشف للموجود عن وجوده، فكل إنسان يجد نفسه موضوعاً أمام العدم ولا تستطيع أية حياة إنسانية أن تفلت كاليأس علامة من علامات الوجود، أما الأول فيسبق الحرية وأما الآخر فيأتي في أعقابها.³

ب/ القلق الوجودي ومفهومه الفلسفي:

القلق من الموضوعات التي عنيت الفلسفة الوجودية بدراسته وهو يعرف في المعجم الفلسفي الجزء الثاني بالاضطراب والشعور بالضيق أو الانزعاج، وقلق الشيء أي لم يستقر في مكان ولم يستقر على حال.

¹ - سناء الخزرجي: الإبداع الفني وعلاقته بالقلق الوجودي لدى طلبة كلية الفنون الجميلة، مجلة كلية التربية، العراق، المجلد 2، العدد4، 2010، ص515.

² - نيفين المصري: قلق المستقبل وعلاقته بكل من فاعلية الذات ومستوى الطموح الأكاديمي لدى عينة من طلبة جامعة الأزهر بغزة، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة، 2011، ص 23.

³ - جوليفيه ريجيس: المذاهب الوجودية، تر: فؤاد كامل، دار الأدب، بيروت، 1988، ص44.

يرى لوك القلق هو الشعور بالضييق أو الانزعاج الذي يسبق الفعل الإرادي، وله عند كوندياك درجتان: أولاهما درجة الانزعاج وعدم الرضا، وثانيهما درجة الجزع والكرب.¹

أما عند علماء النفس، فإنّ القلق استعداد تلقائي للنفس يجعلها غير راضية بالواقع، فإذا تطلّع المرء إلى الأحسن والأفضل، ونظر إلى حياته الواقعية، فوجدها محفوفة بالمخاطر، بعيدة عن تحقيق ما يصبو إليه من الكمال والسعادة، أحسّ بالقلق والغم.

ويشير القلق الوجودي Existential Anxiety في الفلسفة الوجودية إلى أنّ هناك شعورا أساسيا يشعر به الإنسان، ناتجا عن كونه ملقى ومتروكا في هذا العالم ومرغما على الاختيار، وأنّ هناك خطرا دائما يتهدّد وجوده، فهو دائما وجهها لوجه أمام نفسه، باعتباره لم يوجد بعد، وإنّما سيوجد بواسطة الاختيار، والاختيار حرّية ومخاطرة، وكلّ هذا يترافق مع الإحساس بلا عقلانية وضعيته الانسانية وبعثية حياته، وبعض الفلاسفة أسموه "القلق الميتافيزيقي" لأنّه ناتج عن الإحساس بالسقوط والانحلال والموت.²

ونجد هنا بعض الآراء والفلاسفة في تعريفهم للقلق:

1. فرانكل

القلق الوجودي هو الخوف من الحياة وفي الوقت نفسه الخوف من أحداث الحياة ككل.³

¹ - جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبّاني، بيروت، ج1، 1982، ص 199 - 200.

² - محمد ديب: القلق الوجودي في الشعر الأندلسي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة البعث، دمشق، سوريا، 2007، ص 62.

³ - الخزرجي سناء : الإبداع الفني وعلاقته بالقلق الوجودي لدى طلبة كلية الفنون الجميلة، المرجع السابق، ص

2. جابر وكفافي

هو إحساس عام بالقلق والخوف والتوجس يرتبط بشعور أن الحياة لا معنى لها في النهاية وعديمة الجدوى، وإنما مغترون لا عن الآخرين فحسب، بل وعن أنفسنا أيضا.¹

3. مورس :

والقلق الوجودي عنده يتعلق فيما إذا كان الإنسان يعيش حياة ذات معنى وإنجاز أو لا، وإذا لم تكن كذلك فإن الوعي بحتمية الموت يمكن أن يؤدي بالشخص إلى قلق عام.²

4. ناش بوبوفك

الإحساس بالخوف من الموت والشعور بانعدام المعنى من الحياة يعززه الشك والعزلة والانفصال عن الآخرين.³

5. سميث

المعرفة بالفناء الشخصي لأن الإنسان هو الكائن الوحيد الواعي بمدة بقائه على الأرض.

والقلق ما هو إلا حالة مؤقتة يشعر بها الفرد نظرا للظروف الصعبة، وما يلبث أن يسعى لتحقيق ذاته والتكيف بحسب ما ينسجم مع واقعه راضيا بقضاء الله وقدره ساعيا لإيجاد معنى لحياته، وعلى يقين أن هناك حكمة لكل ما يواجهه.⁴

¹ - الخرجي سناء : الإبداع الفني وعلاقته بالقلق الوجودي لدى طلبة كلية الفنون الجميلة، المرجع السابق، ص 500.

² - نفسه: ص 500.

³ - نفسه: ص 501.

⁴ - نفسه: ص 501.

ج/ القلق الوجودي وعلاقته بالوجودية:

يقلق الإنسان لأنه غير قادر على أن يكون نفسه، لأنه يشعر بأنه غير أصيل، لأنه متغرب في العالم اليومي العادي، هذا العالم يطمئنني، لكن في الوقت نفسه يشعر فيه بغربة، غربة عن الكينونة هذا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أنّ الإنسان منهمك في الانشغالات اليومية، ولذلك هو ليس نفسه، «العام» يسلب منه أصالته، يحرمه من أن يتحقق ككائن، يصبح «الأنا» هو نفسه «الهم»، بالتالي تصبح الذات مطبوعة بالجماعة، فيكون الاغتراب هو النتيجة.

وعليه نخلص إلى أنّ الكائن (الإنسان) قلق لأنه غير محقق، لأنه يعلم أنه غير أصيل، القلق يصيب عالم اللامعنى الذي يحيا فيه.

ومنه نجد أنّ القلق الوجودي جزء من الوجودية فهو يشكّل جوهرًا وسببًا في الكيان المأساوي، كما يكون نتيجة حتمية له.

الفصل التطبيقي

مقاربة معرفية فلسفية في رواية: يسمعون حسيها معاشات

سجين تدمري 1980 - 1997

المبحث الأول: المسببات والآثار في الرواية.

المطلب الأول: المسببات:

أولاً: الرواية والتأسيس للبطل الإشكالي:

ظهر مصطلح البطل الإشكالي حديثاً في النقد وقد أرسى قواعده لوسيان غولدمان إضافة إلى مجموعة من علماء الاجتماع، ونجده قد عرفه بقوله: "شخصية تبحث عن القيم الأصلية في واقع اجتماعي مضطرب من حيث السلوك والقيم، وهو يتّصف بالوعي الفكري العميق، لكنّه عاجز عن إصلاح مجتمعه، وعن القدرة على التعامل معه، إنّه مثقّف فكرياً لكنّه غير قادر على الحركة سلوكياً، ومن ثمّ ينتهي به الحال أن يصبح شخصية مهمشة مغتربة".¹ ويتمثّل هذا النموذج للبطل الإشكالي في المرحلة الوسطى بين مرحلة الواقعية التي أولت الاهتمام للفرد بعد أن حوّلت الرواية إلى بطل هامشي، وبين مرحلة الرواية الجديدة التي قد احتلّت الآلة مركز الصدارة وراحت تدير الأشياء وتتحكّم فيها.

ومن خلال دراستنا لرواية يسمعون حسيها فإننا نجد أنّ الشّخص الذي يقوم بسرّد الأحداث (إياد) يعيش في حالة اضطراب وتعارض بين أفكاره وبين محيطه الذي يعيش فيه ويتذوّق شتى أنواع القهر والآلام، ومختلف أشكال التسلّط.

وذلك من خلال قوله: "يا إله السّماء: كم ناديتك لكي لا تتركني مع الوحوش، ثمّ لم يكن للوحوش الوالغة في دمي أي ارعواء!! يا إله السماء السابعة: كم ناجيتك لكي تبقى على ما تبقى من كينونتي التي انتزعوها من تحت جلدي ثمّ تركتهم يستمرون في انتزاعي

¹ - طه وادي: الرواية السياسية، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 1996، ص 20.

مني حتى لم أعد أنا... أنا!!¹. فهنا يشعر إياد بالعجز إثر ما تعرّض له من التعذيب على يد من لا رحمة لهم، فهنا يدعو ربّه بكلّ صفاته حتّى يخفّف عنه المعاناة وهذا أيضا يظهر في قوله: "يا ربّ السّدرة: حكمتك فأني لم يعد لي منّي شيء أستبقيه ليوم الفهم الأكبر!!"². في هاته العبارة يبيّن لنا أيمن العتوم ضعف إياد واستسلامه لكمة الله عزّ وجلّ

وأیضا في قوله: "يا ربّ المنتهى: لو كان المنتهى أن أنتهي قبل أن أروي عن القادمين من الكوكب الآخر لصاعت الحكمة إذا؛ ولاختفى التّجلي، ولامحي الفهم!!"³.

"يا ربّ الوحوش والكائنات الغريبة والمخلوقات التي لا تشبه البشر في شيء: ساعدني لكي أقول ما ينبغي قوله!! ساعدني لكي أنجح في قتل الخوف الذي شرّس في أعماقي على مدى سبعة عشر عاما!! ساعدني لكي تكفّ السيّاط التي لا زلت أتخيّلها- بعد كلّ هذا العمر- تصطفق داخل رأسي صباح مساء"⁴.

"... أمّا صرخاتي فلم تكن تعبيراً عن الألم بقدر ما كانت التقاطاً للنفس الذي بدأ يتلاشى من صدري، كنت أصرخ لأسحب الهواء إلى الدّاخل حتّى أحافظ على نفسي من الاختناق"⁵.

كما نلاحظ أنّ إياد شخصية مثقفة ويظهر ذلك في قول الكاتب: "تقلّلت في البكالوريا بين المدرسة والمسجد، ظلّ الشيخ (منير) يغرس الفضائل والقيم في نفوسنا، حتّى نمت ثمرتها

¹ - أيمن العتوم: يسمعون حسيبها، معاشات سجين تدمري 1980-1997م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، 2، 2013، 10.

² - نفسه: ص 10.

³ - نفسه: ص 10.

⁴ - نفسه: ص 10.

⁵ - نفسه: ص 20.

مع الزمن، وفتحت عينيّ على أفكار جديدة لم تكن لولا الشيخ (منير) لتحلّ فيّ، وسارعت لقاؤاتي عددا من الشّباب في المسجد إلى بلورتها في حقل القلب المفتوح لكلّ شيء!!¹.

• " كانت تربية المسجد تبعث في النّفس يقينا، وطمأنينة؛ تحميني من أبي من جهة، وتُريني فساد نظريات يتبنّاها واحد مثل مديرتنا في المدرسة... مرّت أيّام البكالوريا، ويبدو أنّ المسدّس الذي رفعه أبي في وجهي حتّني على أن أحصل مجموعا يؤهّلني لدراسة ما كان يتمناه لي... وهكذا صرت طالبا في كآلية الطّب بجامعة دمشق!!"².

• " في الدّور الرّابع للمستشفى الذي صرت أعمل فيه، كنت أفحص بين يدي طفلا انتفخ بطنه لطول ما أصابه من إمساك، اتّصل بي المدير، وسألني بصوت مرتبك فيما إذا كان ممكنا أن أوافيه إلى مكتبه للحديث في أمر يخصّ العمل"³.

• كما تحمل هذه الشّخصية فكرا سياسيا معارضا للسلطة، ورؤية مستقبلية للتغيير، وكلّ ذلك ناتج عن القيم الايجابية التي يتبنّاها فيدخل في صراع مع السلطة من خلال قوله: "... إذا كانت أمي قادرة فيما مضى على حمايتي من أبي، فلا بدّ أنّها اليوم قادرة على حمايتي من الأب الأكبر، من السلطة التي تعدّ نفسها أبا لكلّ النّاس، وأنّها تملك كلّ ما يملكون، وحقّها التّصرّف بتفاصيل حياتهم أكبر من حقّهم هم أنفسهم...!!"⁴.

1 - أيمن العتوم: يسمعون حسيها، معاشات سجين تدمري 1980 - 1997، المصدر السابق، ص 13.

2 - نفسه: ص 15.

3 - نفسه: ص 16.

4 - نفسه: ص 24.

• والموقف السياسي الذي اتّخذه إياد دفع به إلى قول الحقيقة وتكشف أساليب النظام الحاكم المتسلّط، ويتجلى ذلك في العبارة الآتية: "كلّ ما رويته في هذه الصفحات صادق دون موارد، حقيقي دون تمويه، وهو ليس الحقيقة الكاملة، فهو لا يساوي أكثر من عشرها... إنّها مشاهداتي ومعايشاتي لأيّام قضيتها داخل مهجع (27) ومهجع (34) في سجن تدمر ممّا تذكّرتّه، أمّا بقية المهاجع فقصصها ليست أقلّ فظاعة من هذه القصص التي رويتها هنا...".¹ وعلى هذا الأساس تبنّى قيما لا يعترف بها الواقع ولا تكسرهما بسلبيتها ودونيتها، فنشأ بذلك صراع بين حقيقة داخلية ممثّلة في إياد المقهور ، وأخرى خارجية ممثّلة في الواقع وحقيقة التسلّط والاستبداد السياسي.

• حيث تتنازع الحقيقتان فلا يجد البطل مجالا للّجوء إلى الذات باعتبارها مهريا من الواقع المفروض عليه، وإن لجأ إلى ذاته كان ذلك مجرد رثاء لوضعيته كسجين مسلوب الحرية.

كما أنّ إياد لم يستطع تقبّل السلطة كونها تتعارض مع قيمه وهذا ما يؤكّده الدكتور محمد عزام في قوله: "يرفض زيف العالم، ويرفض التعامل بالانتهازية السائدة، ويطرح البديل: التعامل بأخلاق انسانية، ولكنّه يتمزّق من الواقع، والممكن، والكائن، وما يجب أن يكون، وهذه المعاناة تولّد في أعماقه الاغتراب".²

¹ - أيمن العتوم: يسمعون حسيبها، معايشات سجين تدمري 1980-1997، المصدر السابق، ص 7.
² - محمد عزام: البطل الاشكالي في الرواية العربية المعاصرة، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1992، ص 16.

ثانياً: أنماط الاغتراب في الرواية:

تجلّت ظاهرة الاغتراب في رواية يسمعون حسيها من خلال بحث إياد عن طريق الخلاص من أزمته وذلك بكشفه لواقع العذاب والضياع والحرية المفقودة التي يعيش فيها. ويظهر ذلك في قول الكاتب: "... أي لعنة تلك التي تحلّ علينا فوق العذاب، والغربة، والحرمان، والقسوة، والألم والشوق، وفقدان الانسانية، وموت الأهل، وغياب الأقارب والأبعاد...؟ ما الذي اجترحناه حتى هبطت علينا ريح السموم في أرض قاحلة لا تعوي فيها إلا الذئاب التائهة؟"¹

ومن هنا يتّضح لنا الحالة الاغترابية التي يعيشها البطل، والتي كانت بذورها الإحباط والقهر والحرمان، ومن خلالها يبيّن لنا إياد مدى مأساته كسجين في وطنه، تقوم الأنظمة الاستبدادية بسلبه لحرية ولبطشه والتنكيل به.

إضافة إلى عزله في الزنزانة الانفرادية وهذا ما يزيد من اغترابه وقد كانت هذه الزنزانة بمثابة قبر له ونجد ذلك في قوله: "الزنزانة التي استقر بها فيها ما تبقى من جسدي في اليوم الرابع والخامس أو السادس لا أدري، هي عبارة عن قبر مرفوع الغطاء"² وقوله: "كانت الزنزانة بعرض (70) أو (80) سم وبطول مترين، وبارتفاع مترين، تكاد جوانبها تضيق عن عرض الجسد"³.

فقد كانت عزلة هاته تجعله في حالة اغتراب تقدّمة للموت الذي يتمناه فيرفضه: "كانت ليلة أمس قد قدّمتني إلى الموت الذي رفضني، هنا يكون الموت متواطئاً مع الجلادين؟"⁴

1 - أيمن العتوم: يسمعون حسيها معاشات سجين تدمري 1980-1997، المصدر السابق، ص 250-251.

2 - نفسه: ص 25.

3 - نفسه: ص 25.

4 - نفسه: ص 32.

■ أنواع الاغتراب:

أ/ استلاب الملكية (الاغتراب عن الأملاك عند غيابها):

يغترب الانسان عن أملاكه بإرادته أو غصبا عنه، وقد تجلّى الاغتراب عن الأملاك في رواية يسمعون حسيبها لأيمن العتوم عندما أجبر إياد على مغادرة المستشفى التي يعمل بها، ومغادرته بيته وترحيله من قريته بسبب الحكومة التي عملت على تليفق تهمة خطيرة له، وسجنه ظلما فنجده يقول: " اصطفّت في دماغي أصوات العصافير القادمة من الجبال الشمالية للقرية، بدأت تعلقو رويدا رويدا حتّى ملأت عليّ كياني، تمايلت على إيقاعها الجميل ورقص قلبي فرحا لأنغامها، حطّ أحدها على كتفي وبدأ يمسح بظاهر جناحه ما سال من دم على وجهي".¹ ومن خلال تحليلنا لهذه العبارة يظهر لنا مدى حزن وألم إياد جرّاء اغترابه عن قريته التي كان يعيش فيها بسلام وهدوء، كما يظهر لنا مدى اشتياقه لها ولكلّ شيء فيها.

وفي عبارة أخرى نجد إياد يقول: " ما شأني أنا والرئيس؟ تكفيني لقمة هانئة في مساءات العمل، وزوجة أسكن إليها، وأولاد يقفزون حولي".² هنا يدرك إياد أنّ البقاء في بيته مع زوجته وأولاده، والعمل طوال اليوم في المستشفى قد أصبح حلما، وواقعه تعذيب مستمر على مرّ الأيام، وهذا ما يخلق في نفسه احساس بالغربة داخل وطنه، فقد سلّبو منه أبسط الأشياء التي يمتلكها (بيته، عائلته، وحتّى عمله).

كما يؤكّد ذلك في قوله: " أنا أريد أن أعود إلى أهلي وزوجتي، أريد أن أعيش مواطنا عاديا أقتات من عملي في مهنة شريفة، هذه المهنة التي بذل لها والدي الفقير كلّ ما يملك حتّى يقال: إنّ ابنه صار ((حكيماً))".³

1 - أيمن العتوم: يسمعون حسيبها، معاشات سجين تدمري 1980-1997، المصدر السابق، ص 23-24.

2 - نفسه: ص 32.

3 - نفسه: ص 33.

ومن ناحية أخرى نجد أنّ الحكومة قد سلبت من إياد كلّ شيء حتّى الهواء النقي ونجد ذلك في قوله: "ماذا يعني الليل والنهار لسجين صارت كلّ خلية فيه مرتبهة للدّولة، وهو لا يملك حتّى أن يسحب هواء الزنزانة الخانق إلى صدره".¹

كما حرمت العديد من الشباب بسبب ظلمها لهم من تحقيق أحلامهم وحق العيش بكرم وفي كنف وطنهم وذلك واضح في العبارة التالية: "كانوا شبّانا في كلّية الهندسة في جامعة حلب... تلك الجبّة التي طالما حلمت بأن تكبر في كنف الوطن وتصبح إحدى مناراته في العلم والحضارة".²

وفي العبارة التالية: "ماذا تبقى منّا فينا لنا ونحن نفقد كلّ يوم كرامتنا ما يجعل الطريق - بعد كلّ يوم ينقضي - أطول".³ نلاحظ أنّ الظلم الذي تعرّض له إياد ومن معه قد فاق كلّ ما يتوقّعه الانسان وتعدّاه من التعذيب المادي إلى التعذيب المعنوي، فقد عمدوا إلى الإطاحة بكرامتهم، ويتجلّى ذلك في مختلف أنواع السّب والشتم بأقضع العبارات منها: "ولا... يا حمار انتا مدخّل كتاب ع المهجع؟".⁴

كلّ السّب والشتم والعذاب الذي تعرّض له إياد ورفاقه ظلما بعد تلفيق الحكومة لتهم باطلة في حقّهم، ولم يبقى الحدّ هكذا فقد فاق ذلك بكثير، لدرجة أنّهم حرموهم من حقهم في المأكل حتّى ونجد ذلك في قول إياد: "كان جسدي هزيلا لطول ما جاع، وكان عظمي واهنا لطول ما تقوّس في الجغرافيا المتاحة".⁵ وفي عبارة أخرى يقول: "فأيقظت في جوعا إلى طعامها الذي لم أتذوّقه طوال سنين".⁶

1 - أيمن العتوم: يسمعون حسيبها، معايشات سجين تدمري 1980-1997، المصدر السابق، ص 17.

2 - نفسه: ص 318.

3 - نفسه: ص 340.

4 - نفسه: ص 348.

5 - نفسه: ص 353.

6 - نفسه: ص 360.

وفي العبارة الموالية نجد أنّ الدولة حكمت عليهم بالموت وهم أحياء من خلال قول إياد: " وهل سيعرفونني حينما يرونني أم لا؟ وكيف سيبدو حالهم إذا صدّقوا أنّني متّ منذ سنين طويلة كما أشاعت الدولة؟"¹.

من خلال كلّ هذه العبارات نجد أنّ الحكومة قد عمدت إلى تحويل حياة إياد من حياة طبيعية إلى حياة مسلوّبة من كلّ الحقوق التي من المفترض أن يتمتع بها في ظلّ دولته، فهنا نجد أنّها سلّبت له حق الحياة الكريمة مع عائلته وأولاده، وفي بيته يمارس المهنة التي تعب والده حتّى يراه يمتهنها رغم فقره، إضافة إلى سجنه وتعذيبه بشتّى أساليب التعذيب ماديا بالضرب أو حرمانه من المأكل والمشرب، أو معنوي من خلال السّب والشتم، والإهانة المستمرة.

ب/ استلاب الحرية ولاغتراب عنها:

هو ذلك الاغتراب الذي يحس به إياد ورفاقه جرّاء ما يتعرّض له، وقد كانت رواية يسمعون حسيّتها حافلة بهذا النوع من الاغتراب، فقد عايش إياد الكثير من الأحداث داخل السجن، وعرف معنى الحرية جرّاء العذاب الذي تعرّض له سواء كان عذاب ماديّ، أو معنويّ طيلة سبعة عشر عاما، ومن بين العبارات الدّالة على ذلك: "سبعة عشر عاما وأنا أبتلع كتلة الألم وأزرددها راضيا"². وهذا ما يدلّ على طول المدّة التي قضّاها إياد في السجن ظلما وباطلا، ومن العبارات الدّالة على التعذيب القاسي الذي تعرّض له ما جاء به أيمن العتوم في عبارة: "وأخرجونا - كالعادة - من المهجع جميعا وعذبنا عذابا شديدا"³. إضافة إلى قوله: "جنونا على ركبنا وطأنا رؤوسنا، ودفنّاها بين أرجلنا، وبدأت حفلة من العذاب تفوق في مستواها مئة حفلة سابقة"⁴.

1 - أيمن العتوم: يسمعون حسيّتها، معاشات سجين تدمري 1980 - 1997، المرجع السابق، ص 361.

2 - نفسه: ص 350.

3 - نفسه: ص 338.

4 - نفسه: ص 332.

ومن العبارات الدالة على هول ما تعرّض له جزاء استلاب حرّيته نجد قوله: " شحطوني ككلب ميّت إلى الزنازين الانفرادية".¹

كما بيّن لنا إياد وحشية العساكر وعدم رحمتهم ، ورفقهم بالمساجين، وتعطّشهم لحفلات التعذيب كما سمّاها إياد، فكان العساكر يخلتقون الأسباب من أجل تعذيب المساجين دون مراعاة مشاعرهم، وجروحهم التي لم تلتئم بعد، ويظهر ذلك في قوله: " لن نكن قد برئنا من جراحات أمس".²

لم يسلم إياد ورفاقه لا من التعذيب المادي بشتّى الوسائل وطرق التعذيب، بل تعدّاه إلى التعذيب المنوي من خلال الألفاظ النابية والجارحة، والتي تؤكّد لهم حرّيتهم المسلوبة من قبل الحكومة، وذلك من خلال عدم قدرتهم على الرّد على العساكر المتوحشين، ومن العبارات النابية التي كثيرا ما نسمعها إياد ورفاقه نجد: " ولّا ما بتسمع، ولّا حمار".³ وفي عبارة أخرى: " اعطي هذا الحيوان بذلة خروج و (100) ليرة".⁴

وفي عبارة أخرى نجد أنّ الشرطي يأمر إياد بأنّ يشارك أيضا في تعذيب رفيقه، حتّى يزرع الفتنة بينهما فقال له: " ولا... ما سمعت يا كلب... صبّ عليه (باضون) مي يا شر...".⁵ وهذا ما أدّى إلى نشوب بعض النزاعات بين السجناء في حدّ ذاتهم فيقول إياد في هذا الصدد: " انقلب انسجام المهجع الداخلي الذي كان يقاوم العذاب الخارجي، وتحوّل إلى عذاب بئيس أشدّ وإن كان دون سياط أو بساطير أو مواسير، ولكنّه كان بكلمات أشدّ من السيوف".⁶

1 - أيمن العتوم: يسمعون حسيبها، معايشات سجين تدمري 1980-1997، المصدر السابق، ص 349.

2 - نفسه: ص 333.

3 - نفسه: ص 355.

4 - نفسه: ص 357.

5 - نفسه: ص 325.

6 - نفسه: ص 337.

وفي ظلّ كلّ الأنواع من التعذيب والتنكيل وظلّ إياد محافظا على سلامة عقله وفي هذا الصدد يقول: "أنا الذي قاومت الموت والمرض والجنون والرعب".¹

ج/ استلاب الانسان واغترابه عن مخرجات الحضارة ونتائج التقدّم:

ونعني به اغتراب الانسان وابعاده عن كلّ ما يمتّ للحضارة والتقدّم التكنولوجي بصلة، ومن بين العبارات المعبرة عن ذلك نجد: "منذ سبعة عشر عاما لم أجلس على مقعد وثير كهذا، ولم أجرب طراوة مثل هذه".² من خلال هذه العبارة نخرج بخلاصة مفادها أنّ أبسط شيء وهو المقعد الوثير لم يحظى بيه إياد لفترة دامت سبعة عشر عاما.

د/ اغتراب الانسان عن طبيعته الأصلية:

بين الحياة التي كان يعيشها إياد في ماضيه بين أهله وبلده وأصدقائه، وبين ما آل إليه حاله في السّجن حدث له استلاب لطبيعته الأصلية التي كان ينعم بها، وتغيّرت كلّ الأمور الجيدة في حياته إلى كابوس مرعب داخل السّجن، حتّى فقد أسمى معاني التقدير التي كان يتمتع بها بصفته طبيبا، ومن بين هذه العبارات نجد قوله: "ظنّنا عندما قال (حضراتكم) أنّه يعني غيرنا".³

كما أنّه في الكثير من الأوقات يحس بأنّ هذه الحياة لا رغبة لها في بقائه ورفاقه لأنّهم بلا طائل ولا فائدة، ومن هنا يحضرنا قول إياد: "نعم... غريب (قلت لنفسك) وأي غربة أقسى من تلك التي عشناها؟ وأي غربة أفزع من تلك التي تحاول أن تتفكك من الحياة".⁴

1 - أيمن العتوم: يسمعون حسيبها، معاشات سجين تدمري 1980 - 1997، المصدر السابق، ص 363.

2 - نفسه: ص 359.

33 - نفسه: 358.

4 - نفسه: ص 364.

هـ/ اغتراب الانسان عن الانسان:

قد يبعث الإنسان عن شخص أو عن وطن بإرادته، أو غصبا عنه، وفي رواية يسمعون حسيستها نجد أنّ الطبيب إياد قد أبعد غصبا عنه عن واليده، وزوجته، وابنته لمياء، وفي ظلّ هذه الأزمة التي يعيشها يشعر إياد بالوحدة بعيدا عنهم، ويشتاق لهم ويشعر بأنّ الحكومة قد سلبت منه أعلى الأشخاص في حياته، ومن بين العبارات الدالة على شوقه لأمّه نجد عبارة: "وحده اسم أمّي هوى بمطرقة الذّاكرة على رأسي فأحسست أنّ هذا الاسم الذي لم ينطقه أحد أمامي قبل أكثر من سبعة عشر عاما يخصني، وأنّه قد أيقضني من سباتي".¹

وفي عبارة أخرى نلاحظ اشتياق إياد لأخيه أحمد وذبك في قوله: "وماذا ظلّ من أخي (أحمد) الذي غادرني إلى جنان النّعيم وتركني هنا وحيدا".²

إضافة إلى شوقه لابنته لمياء التي تركها ذات ربيع واحج من عمرها: "ارتسم وجه ابنتي ذات الربيع الأوّل على صفحة القمر... لم تكبر ابنتي في خيالي سبعة عشر عاما، كنت أعجز من أن أفعل ذلك".³ فإياد هنا يلوم نفسه على عدم قدرته على رسم ملامح ابنته في خياله، وعدم وجود صورة واضحة لها في خيالاته، ويقول أيضا: "كانت لمياء تذبحني، لم يكن بعدها وحده هو السبب، ولا السنين الطوال التي لم أرها فيها...".⁴

وبعد قرار الإغفاء عنه وعن مجموعة من رفاقه المظلومين الذين سلبت حريّاتهم وحقوقهم في الحياة الكريمة، زاد شوق إياد لعائلته التي سلبت منه غصبا عنه، وبدأ في التفكير في ردّة فعلهم بعد مرور سبعة عشر عاما من الفراق فيقول في نفسه: "كيف سيكون اللّقاء لها

¹ - أيمن العنوم: يسمعون حسيستها، معاشات سجين تدمري 1980-1997، المصدر السابق، ص 355.

² - نفسه: ص 353.

³ - نفسه: ص 343.

⁴ - نفسه: ص 342.

إذا رأيتي مقبلاً نحوها كمومياء، هل سيتحرك الدّم فتعرف أباه؟ أم أنّ هذا الدّم فقد خلاياه منذ أزمنة الحرمان العميقة".¹

وبعد خروجه من السجن أحسّ إياد بأنه قد يشنق لأشخاص طال بقاؤه معهم فقال في هذا الصدد: "هممت بأن أرفع يدي مودّعا، شعرت أنّ سبعة عشر عاما قد بنت في داخلي شيئا من المودّة غير المفسّرة تجاههم".²

المطلب الثاني: الآثار

أولا: ملامح الوجودية في مدونة الدراسة:

يبحث الفرد إلى التحقيق الذاتي وعن وجوده الأصيل، المتمثل في الحرية الفردية المطلقة والتي تصور الوجود، فالإنسان هو محور العملية الفلسفية، وبخاصة حينما يتعلّق الأمر بوجوده، فالوجود بأسره لا معنى له إلا بوجود الإنسان.

فتتميز الوجودية بميلها إلى الوجود "فهي لا تبالي بماهيّات الأشياء وجواهرها، كما لا تبالي بالوجود الممكن والصور الذهنيّة المجرّدة، إن غرضها الأساسي هو كل موجود، أو بتعبير آخر هو وجود كل ما هو موجود في الواقع والحقيقة"³. فالفلسفة الوجودية في أبسط مفاهيمها، هي "الحقيقة الأنا... من غيري يثبت وجودي؟ من سواي يدرك علاقة الأشياء ببعضها؟ من غير الإنسان - عقل الكون - يحس بامتداد كون الوجود"⁴

والمذهب الوجودي يناقض تماماً الخمول، فهو يرى أن الحقيقة لا تكمن إلا في العمل، بل يرى "أن الإنسان ليس إلا مشروع الإنسان، وهو لا يوجد إلا بمقدار ما يحقّق ذلك المشروع، فهو إذن عبارة عن مجموعة أعمال تكوّن حياته".⁵

1 - أيمن العتوم: يسمعون حسيها، معاشات سجين تدمري 1980-1997، المصدر السابق، ص 363.

2 - نفسه: 358.

3- جان بول سارتر: دراسات مستنقاة من أعلام الفلسفة الوجودية، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1978، ص 112.

4- فايز محمود: الحقيقة بحث في الوجود، المطابع النموذجية، عمان-الأردن، ط2، 1989، ص24.

5- جان بول سارتر : دراسات مستنقاة من أعلام الفلسفة الوجودية، المصدر السابق، ص65.

وقد انعكست الفلسفة الوجودية على الأدب، لتظهر لدينا مدرسة وجودية بزعامة "سارتر"، فقد وضع مبدأً للوجودية بقوله: "إن الوجود يسبق الماهية، أي فيما يتصل بالإنسان، مثلاً الإنسان يوجد أولاً ويصادف، وينبثق في العالم، ثم يتحدّد من بعد، فالإنسان في أول وجوده ليس شيئاً ولا يمكن أن نحدهُ بحده¹." وقد تأثر كتاب القصة في العالم العربي بالمدرسة الوجودية، وانعكس هذا التأثير على أعمالهم، فبدأت أعمالهم واضحة تتحدّث عن قلق الإنسان، وإبحاره في البحث عن تفسيرات فلسفية لمعاني الحياة.

وأيمن العتوم واحد من الكتّاب العرب الذين تأثروا بالوجودية، فبواذر أعماله الأدبية ظهرت سنة 2012م تحت عنوان "يا صاحبي السّجن" ثمّ أرففها برواية أخرى من نفس الطّابع الذي يحاكي من خلاله مساجين الحرب، فقد درس بجامعة اليرموك وتخرّج منها بشهادة في اللّغة العربية سنة 1999م.

وللوجودية عدّة مبادئ قام أيمن العتوم بتوظيفها في روايته منها:

¹ - عبد الرحمن بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1980، ص262.

أ/ **الوجود:** من خلال ما تمّ التطرّق له في السابق نجد أنّ أيمن العتوم قد جسّد في روايته مبدأ الوجود، ويتجلّى ذلك في: "... زكنت أجد بين أشجار الصفصاف والسرّو مساحة للرّكض السّاذج تعبيراً عن انطلاقات عفوية لا يملك طفل في مثل سنّي لها ردّاً".¹ وفي عبارة أخرى نجد إياد قد اختار لنفسه نمطاً معيّناً ومظهرها خاصاً مثله مثل باقي شباب جيله حيث يقول: "ها أنا ذا مثل كلّ جيلي من الشباب، أجد في الحياة متعة".²

ب/ **العدم:** ويتجلّى في قوله: "إنّها كائنات قادمة من الجحيم نفسه".³ في هاتاه العبارة نجد أنّ إياد يصف وحشية العساكر وعدم رحمتهم به. كما نجد أيضاً قوله: "انهالت عليّ كيبلات الأسلاك المعدنية، في الضربة الأولى كان الجلد طرياً، غاص الكيل في اللحم،".⁴ في هاتاه العبارة نلاحظ وحشية العساكر واستخدام مختلف أساليب التعذيب والقمع.

إضافة إلى العديد من العبارات كقوله: "لن نكن قد برئنا من جراحات أمس".⁵

ج/ **الماهية:**

وفي العبارة التالية: "ماذا تبقى منّا فينا لنا ونحن نفقد كلّ يوم كرامتنا ما يجعل الطريق - بعد كلّ يوم ينقضي - أطول" نلاحظ أنّ إياد لم يكن الوحيد الذي يحسّ ويعايش تلك الظروف إذ نجده يتقاسمها مع غيره من المساجين

¹ - أيمن العتوم: يسمعون حسيبها معاشات سجين تدمري 1980-1997، المصدر السابق، ص 9.

² - نفسه: ص 11.

³ - نفسه: ص 10.

⁴ - نفسه: ص 19.

⁵ - نفسه: ص 333.

د/ الحرّية:

يفترض أن يمتلك الإنسان حرّيته وخياراته التي لها أن تُغيّر من نمط حياته نحو الأفضل (عند معظم الناس الأسوياء)، أو نحو الأسوأ (عند القليل من الناس غير الأسوياء، ومنهم الذين يعانون من القلق الوجودي).

فالإنسان الراشد والعاقل، يُفضّل حتمًا خيار الحرّية لكي لا يسمح لأحد من أن يتخذ عنه خياره. وكما نعلم أنّ الحرّية تترافق مع المسؤولية لكي تجتمع في ذهن الإنسان على هيئة الحرّية المسؤولة. المشكلة لدى الوجوديين القلقين أنّ حضور المسؤولية بجوار الحرّية، هو بحدّ ذاته، مصدرًا للقلق، لأنّه بحسب مفهومهم للحرّية هو في التحرّر من كلّ شيء، لأنّهم عديمون، ينفون الماضي، ولا يؤمنون في المستقبل وحاضرهم بلا معنى. إنّ الغاية من الوجود عند سارتر هو في أن يمتلك الإنسان كامل حرّيته، وكامل تفكيره، دون قمع، أو تتمر. لهذا، فهو يقول في كتابه "الوجود والعدم" أنّ الإنسان محكوم عليه أن يكون حرًا، ويجب أن يكون مسؤولًا عن كلّ أعماله. ومما يثبت ذلك في الرواية نجد: "مثل أي طفل في القرية، نما عالمي بين أشجار ظليلة تحكي قصة الذاهبين"¹ فهنا نجد أنّ إياد يتمتّع بكامل حرّيته ويعيش حياته كأبي شخص آخر في مثل سنّه، كما نجد في عبارة أخرى قوله: "طال شعر رأسي، وتهدّل جزء منه على كتفي، كأبي شابّ في السبعينات كنت أجد لذة غامضة لا تحتاج إلى تفسير".² هنا أيضا تظهر لنا الحرية التامة التي يتمتّع بها إياد، من خلال حرّيته في اختيار الشّكل الذي يريد أن يكون عليه من خلال اختيار قصّة شعره وملابسه، وما يثبت ذلك أيضا: "وكان بنطلون (الجينز) موضة العصر، إضافة إلى قميص (الكاروهات) ذي الياقة الواسعة".³

¹ - أيمن العتوم: يسمعون حسيبها، معايشات سجين تدمري 1980-1997، المصدر السابق، ص 9.

² - نفسه: ص 11.

³ - نفسه: ص 11.

كما أنّ إِيَادَ كان يتمتّع بالحرية الكاملة في حياته حيث يعيش حياته مع والديه وزوجته الحامل بابنته، وفي قريته وعمله الذي اختاره والده فيقول: " في الدّور الرّابع للمستشفى الذي صرت أعمل فيه، كنت أفحص بين يدي طفلاً".¹

هـ/ الاختيار:

كان لإِيَادَ مجموعة من الاختيارات التي قرّر من خلالها الهرب من والده ويظهر ذلك في العبارتين التاليتين: " ركضت باتجاه الحقول وأنا أرتجف من الخوف، واختبأت خلف الأشجار حتّى يهدأ أبي".² وأيضاً في قوله: " هربت من أبي إلى المسجد".³

و/ المسؤولية:

بينما تظهر المسؤولية المغلّفة بالحنن في العديد من العبارات منها: " لرسمت غدي الحالم بيدي قبل أن ترسمه كائنات خارج الانسانية لا تعترف بالبشرية مطلقاً"⁴ فإِيَادَ يشعر بالحنن عن مستقبله ويتمنّى لو كان مسؤولاً وقادراً على تغييره منذ نعومة أظافره وذلك لما لقيه من تعذيب وأذى ترك في نفسه الشّعور بالحنن والألم، والخوف والقلق.

ي/ الموقف:

تظهر لنا بعض المواقف التي كانت بمحض اختيار إِيَادَ وهو داخل السّجن ومن بين المواقف التي قام بها في سجن تدمر هو مساعدة المرضى ومثال ذلك: " أعطيت الأب سوائل طوال فترة غيبوبته، كلّما أفاق إفاقة بسيطة".⁵

¹ - أيمن العتوم: يسمعون حسيبها معاشات سجين تدمري 1980-1997، المصدر السابق، ص16.

² - نفسه: ص 12.

³ - نفسه: ص 13.

⁴ - نفسه: ص 9-10.

⁵ - نفسه: ص 168.

ز/ الالتزام: في قوله: "أنا أريد أن أعود إلى أهلي وزوجتي، أريد أن أعيش مواطنًا عاديًا أقتات من عملي في مهنة شريفة، هذه المهنة التي بذل لها والدي الفقير كل ما يملك حتى يقال: إن ابنه صار ((حكيماً))".¹ حيث نستخلص من هذه العبارة أنّ إياد كان يأمل ويحلم أن يكون كغيره من الناس، إنسانًا موظفًا بسيطًا يعيش في كنف أسرته.

ثانياً: تجليات القلق الوجودي في الرواية:

يتجلى لنا القلق الوجودي في العديد من العبارات منها: "من يدري ماذا يتسّتر خلف الغد".² هنا يظهر لنا إحساس إياد بالخوف وهو عبارة عن مظهر من المظاهر التي تؤدي إلى الاضطراب والقلق الوجودي.

وفي عبارة أخرى نجد أنّ إياد يشعر بالخوف ممّا سيواجهه بعد أن شاهد الدبابات والعساكر يطوّقون المستشفى التي يعمل بها ويتجلى خوفه في العبارات الآتية: "لا أدري كيف قرّرت بسرعة أن أهرب...".³ وفي عبارة أخرى: "ركضت باتجاه الحرية... باتجاه النّجاة... باتجاه الفراغ مدفوعاً بالخوف من الآتي...".⁴ هنا نجد أنّ إياد تملّكه خوف وهلع كبير بسبب الموقف الذي وقع فيه.

وفي موضع آخر نجده يشعر بالتشاؤم والكآبة من الواقع الذي فرض عليه وذلك في حديثه الذي أسرّه في نفسه بعد أنّ تمّ تعذيبه بأبشع الطرق، فقال: "ماذا يعني الليل والنهار لسجين صارت كلّ خلية فيه مرتبهة للدولة...".⁵

1 - أيمن العتوم: يسمعون حسيبها، معاشيات سجين تدمري 1980-1997، المصدر السابق، ص 9.

2- نفسه: ص 9.

3- نفسه: ص 16.

4- نفسه: ص 16.

5- نفسه: ص 16.

وفي عبارة أخرى يتجلى القلق الوجودي في قول إياد: "لم أحرك ساكنا ظللت أحاول أن ابتلع ألمي، وأتجرع مرارتي، وأذهل قليلا عن واقعي".¹ من خلال قوله نلمس فيه كآبته وحرزته على ما آلت إليه حاله وهذا ما سبب له اضطرابا وقلقا وجوديا.

ونجد كذلك: "كان قنطارا من الخوف يتمشى في جوارحي لحظتها".²

¹ - أيمن العتوم: يسمعون حسيها، معاشات سجين تدمري 1980-1997، المصدر السابق، ص 31.

² - نفسه: ص33.

الخاتمة

الخاتمة:

في نهاية بحثنا هذا الموسوم بـ "دراسة المأساة في رواية يسمعون حسيها لـ: أيمن العتوم"، والتي عالجت فيها الإشكالية التالية: **ما هي طبيعة المأساة في رواية يسمعون حسيها؟ وما هي المسببات والآثار؟** نكون خالصنا إلى مجموعة من النتائج نذكر منها:

- التصوير الدقيق، والتحليل العميق لأحداث الإجرام ووسائل التعذيب التي كان يمارسها المجرمون على المعتقلين الذين كان جلهم برآء مما نسب إليهم من تهمة الأخونة، فقد كانت أدوات التعذيب في سجن تدمر مريعة، ووسائل القتل والقهر لا تخطر على بال الجن والإنس ولو اجتمعوا لها... فمن الحرمان من الطعام والشراب إلى المنع من النوم لأيام... ومن قطع الشمس والهواء والكهرباء عن الإنسان... والدفع إلى الأمراض والأوبئة، والتخلية بينها وبين المعتدين... ومن حشر الأعداد الكبيرة في مساحات ضيقة ومهاجع صغيرة... إلى الإعدامات العشوائية... ثم دفن الجثث في مقابر جماعية... أو رميهم إلى السباع والوحوش، وفوق كل هذا وذاك ضرب وشتم، وسب وقذف، وإهانة.

- كما نجد في جوف الرواية ومن خلال أحداثها شخصيات تجبرك على أن تحترمها وترفع لها القبعة تقديراً... رجال حولوا دائرة السجن الضيقة إلى ميدان للمعرفة وساحة رحبة للعلوم والثقافات المتنوعة... حفظوا القرآن ونهلوا من آداب العرب وعلومها، ونقلوا معارفهم إلى الآخرين... لقد كان السجن بمثابة جامعة لهم.

- كما تميز الكاتب بأسلوبه الأسر، وطريقته المؤثرة في جلب متابعة القارئ واستدعاء تركيزه... ويقدر له حضور المعجم القرآني والديني في كتاباته وعرضه للأحداث... ناهيك عن تفاعله هو بما جرى هناك وكأنه كان السجين والمقتول والطلق...

- التوظيف الرائع للاغتراب بجميع أنواعه (استلاب حرية، اغتراب الذات، استلاب ملكية،... وغيره).

- بيان ما انجرّ عن الظّروف الحاصلة في سجن تدمر وما خلّفته الأحداث من قلق وجودي لدى إياد.

وقد خلصنا إلى أن القلق الوجودي عند الإنسان واغترابه المزمّن عن طبيعته وعن أخيه في هذه الرواية شكّلت عوامل جدلية في خلق المأساة وتغذيتها، فهي تارة سبب في صراع الأيديولوجيات (المثالية والشمولية) أفضى إلى استلاب الحرية، وتارة أخرى نتائج حتمية وأثار نفسية للمأساة في حدّ ذاتها.

وفي النهاية وإن كنّا قد قاربنا مقارنة نفسية في هذه المذكرة، إلّا أنّ فيها ظواهر اجتماعية نقترح دراستها في المستقبل دراسة نقدية اجتماعية، وكما تتوفّر على عنصري الصّراع السياسي والطّبقّي، فنقترح دراستها دراسة تفكيكية لكشف طبيعة العلاقة بين المركز والهامش وكشف العلاقة بين الحضور والغياب.



قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

1- أيمن العتوم: يسمعون حسيستها، معاشيات سجين تدمري 1980-1997، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط2، 2013.

ثانياً: المراجع:

أ- الكتب العربية:

2- صالح قاسم: الإبداع في الفن، دار دجلة، عمان، 2011.

3- طه وادي: الرواية السياسية، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط1، 1996.

4- عبد الرحمان بدوي: دراسات في الفلسفة الوجودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1980.

5- عبد اللطيف محمد خليفة: دراسات في سيكولوجية الاغتراب، دار غريب، القاهرة، 2003.

6- عطية محسن: المذهب الوجودي، القيم الجمالية في الفنون التشكيلية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001.

7- فالح عبد الجبار: الاستلاب (هوبز، لوك، روسو، هيغل، فويرباخ، ماركس)، دار الفرابي، بيروت، ط1، 2018.

8- فايز محمود، الحقيقة بحث في الوجود، المطابع النموذجية، عمان، الأردن ط2، 1989.

9- محمد عزام: البطل الاشكالي في الرواية العربية المعاصرة، الأهالي للنشر والتوزيع، دمشق، 1992.

ب- الكتب المترجمة:

- 10- ارسطو: فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، دار هلا للنشر، القاهرة، 2014.
- 11- جان بول سارتر، الوجودية مذهب إنساني، قدّم له الدكتور كمال الحاج، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.
- 12- جان بول سارتر، دراسات مستقاة من أعلام الفلسفة الوجودية، دار مكتبة الحياة، بيروت-لبنان، 1978.
- 13- جوليفيه ريجيس: المذاهب الوجودية، تر: فؤاد كامل، دار الأدب، بيروت، 1988.

ج- الكتب الأجنبية:

- 14- Georges Lukacs: the Théory to the novel, Ed: Gonthier, Paris, 1979.

د- المعاجم والموسوعات:

- 15- ابراهيم السيد: قاموس علم الاجتماع وعلم النفس، دار البداية، عمان، 2013.
- 16- جلال الدين سعيد: المعجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس، 2004.
- 17- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ج1، 1982.
- 18- عبد الواحد لؤلؤة: موسوعة المصطلح النقدي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1983.

هـ- الدوريات:

- 19- اعتدال عثمان، البطل المعضل، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مج2، العدد 2، 1982.
- 20- سناء الخزرجي: الإبداع الفني وعلاقته بالقلق الوجودي لدى طلبة كلية الفنون الجميلة، مجلة كلية التربية، العراق، المجلد 2، العدد4، 2010.

و- الرسائل والأطروحات الجامعية:

- 21- نيفين المصري: قلق المستقبل وعلاقته بكل من فاعلية الذات ومستوى الطموح الأكاديمي لدى عينة من طلبة جامعة الأزهر بغزة , رسالة ماجستير غير منشورة , جامعة الأزهر , غزة, رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأزهر، غزة، 2011.
- 22- محمد ديب: القلق الوجودي في الشعر الأندلسي (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة البعث، دمشق، سوريا، 2007.

ز- المواقع الإلكترونية:

- 23- كتاب سطور: نبذة عن أيمن العتوم، آخر تحديث: 10.43 ، 21 نوفمبر 2019،

<https://sotor.com/>

ملحق

نبذة عن حياة الروائي:

هو الشّاعر والروائيّ أيمن علي حسين العتوم، ولد في 2 آذار من عام 1972م في مدينة سوف بمحافظة جرش في المملكة الأردنية الهاشمية، أكمل دراسته الثانوية في إمارة عجمان بدولة الإمارات العربية المتحدة، وبعدها أكمل تعليمه الجامعي في الأردنّ في جامعة العلوم والتكنولوجيا وحصل على شهادة البكالوريوس منها في الهندسة المدنية عام 1997م، حبّ اللغة العربية الذي نشأ عليه أيمن العتوم وترعرعه في كنف والدٍ محبّ للغة وأهلها ومعلّمًا لها في جامعة أردنية، دفعه لدراسة بكالوريوس لغة عربية في جامعة اليرموك وحصوله على الشهادة الجامعية الثانية عام 1999م، واستمرّ حبه وشغفه في مجال اللغة حتى أنّه نال درجة الماجستير في النحو العربيّ من الجامعة الأردنية عام 2004م، وتابع مسيرته العلمية وحصل على درجة الدكتوراه في نفس التخصص من الجامعة الأردنية كذلك عام 2007م. منذ صغره كان يُلقى الشّعر كثيرًا، وذات مرّة عام 1996م ألقى قصيدة من قصائده هجى فيها النظام، وعلى إثرها سُجن قرابة العام كمعتقل سياسيّ. وأثناء فترة دراسته في الثّلاث جامعات كان ناشطًا أدبيًّا، وقام بتأسيس العديد من اللجان والأندية التي تُعنى بالكتب، وكان نشيطًا معتادًا على ارتياد الأمسيات الشّعريّة والمشاركة فيها على الصعيد المحليّ والعربيّ الشقيق كدولة قطر والإمارات والعراق ومصر والسودان. عمِلَ أيمن العتوم مهندسًا تنفيذيًا بشهادته في الهندسة المدنية في مواقع إنشائية مختلفة في عامي 1997م و 1998م، وعمِلَ كذلك مدرّسًا للغة العربية في العديد من المدارس الأردنية، كمدارس الرضوان ومدرسة اليوبيل وأكاديمية عمّان الدولية. روايات أيمن العتوم طُبِعَ أيمن العتوم بالوسم والطابع الإسلاميّ، وظهر هذا جليًّا في عناوين رواياته وفصولها و دواوينه المقتبسة من آيات القرآن الكريم أو على الأقلّ قد ينهجُ نهجها.

أما عن أسلوبه البليغ الفصيح الممتع المسهب في الوصف لدرجة الإحساس بالأمر كأنها حقيقة تُعاش بالجسد والمشاعر والنفس فاشتهر أيمن العتوم لكوّنه وصافاً ماهراً.

أعماله الروائية:

• **يا صاحبي السجن** تعدُّ من أوّل الروايات المنشورة لأيمن العتوم، يروي فيها تجربته القاسية التي كابدها عندما سُجن في عامي 1996م و1997م، تمتاز لغة الرواية بالشعرية التي تتداخل فيها الأزمنة والأمكنة لتحلّق بالقارئ في عوالم النفس البشرية وتعقيداتها، وصدرت الرواية عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت في عام 2012م. شاعَ سيطُ هذه الرواية في الوسط السياسي والثقافي الأردني لإثارتها الجدل حال صدورها ومنعها من دخول الأردن من قِبَل دائرة المطبوعات والنشر الأردنية نظراً لما تحويه من حقائق تجري داخل السجون.

• **يسمعون حسيها** تُعدُّ هذه الرواية من التجارب الروائية الثّانية لأيمن العتوم للكتابة في أدب السجون، تحدّثت هذه الرواية عن مجريات السجون وما فيها من أحداث لكن هذه المرة عن السجون السوريّة، تدور أحداث الرواية عن طبيب قضي سبعة عشرَ عامًا في السجون بتهمة سياسية بانتمائه لشبّان الطليعة التّابعين للإخوان المسلمين وبتهريبه للأسلحة والتخطيط لعملية ضد النظام السوري، حيث قضى الطّبيب فترة سجنه من 1980م إلى 1997م بين سجنٍ تدمر والخطيب في سوريا. لغة الرواية بالعربية الفصحى لكن الحوارات كانت باللهجة العامية السورية، وصفت الرواية حالات الرعب والموت والعذاب الجحيمي النفسي والجسدي الذي عانى منه أكثر من 20 ألف سجين مات على إثره 11 ألف من المرض أو التعذيب أو الإعدام أو ربما الانتحار هرباً من العذاب. صدرت هذه الرواية عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام 2012م.

• **دائقة الموت** ناقشت هذه الرواية عبر قصة شاب اسمه واثق ثلاثة أمور رئيسة الحب والحرية والموت، ضمن ثلاث مراحل مختلفة من حياة هذا الشاب، ففي المرحلة الأولى ناقشت حياته في القرية وما تعلّم منها من حب تراب الوطن وعشق أرضه وفترة حياته مع والده وما استفاد من دروسه وما تعلّم، وفي المرحلة الثانية حياته الجامعية وخروجه إلى المدينة حيث أصبح فيها قائداً جماهيرياً منظماً للمظاهرات والمسيرات التي تندد بالعدوان الصهيوني والأمريكي على البلاد العربية ويسجن حينها تبعاً، فيصف لنا الكاتب في المرحلة الثالثة ما عاشه البطل في السجن من الحزن والقهر والضعف ثم الموت حتى يخرج من السجن. صدرت هذه الرواية عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام 2013م.

• **حديث الجنود** تحدّثت الرواية عن ما حصل من أحداث في جامعة اليرموك الأردنية التي درس فيها أيمن العتوم وتحديداً في شهر آذار من عام 1986م، والتي شهدت حينها احتجاجات واعتصامات طلابية على مجموعة من القرارات الجامعية وظهر أثر هذا الحراك على الساحة الأردنية. صدرت هذه الرواية في عام 2014م، ومنعت دائرة المطبوعات الأردنية من دخول الرواية إلى الأردن وتوزيعها وتداولها وحوكّم الكاتب أمام القضاء بسبب قرار المنع.

• **نفر من الجن** تحدّثت الرواية عن النهايات الكبرى ومآل الكون مستنداً إلى مراجع تاريخية ودينية في المقارنة بين الإنس والجن، صدرت هذه الرواية في أواخر عام 2014م. كلمة الله ناقش الكاتب في هذه الرواية التّعصّب الديني بين الإسلام والمسيحية، وحاول إيصال فكرة أنّ الحل يكون بالحوار المتّزن الذي يغيّر القناعات ويساهم في رُقّي المجتمعات ويساعد في إحكام العقل ضد الموروثات المغلوطة. وصدرت عام 2015م.

• **خاوية** تحدّث الكاتب في روايته عن التّوحّد عن الأطفال، وعن حياة السوريين اليومية من بداية الحرب، وبعدها جمع الكاتب ما بين الموضوعين في أُطرٍ تخدم روايته. صدرت حديثاً هذه الرواية عام 2016م.

• **يا وجه ميسون** تُعدُّ هذه الرواية أولى محاولات أيمن العتوم في الفنّ الروائيّ، كتبها عام 1999م ومن مضامينها ما يتحدّث عن فلسفة الحب، ولم يقوم بنشرها لاعتقاده بجودتها عند إعادة صياغتها.

شعر أيمن العتوم:

عُرفَ أيمن العتوم في بداياته كشاعر، ومن ثمّ كروائيّ فله العديد من الدواوين الشعرية التي يناقش ويتحدّثُ فيها عن حب الوطن وما يجري في البلاد العربية بعد الربيع العربيّ والمواضيع السياسيّة وخصّ بذكره فلسطين وسوريا.

عناوين دواوينه: كالآتي:

• **ديوان نبوءات الجائعين**: كتبَ أيمن العتوم قصائده الشعرية التي احتوى عليها هذا الديوان في السجن، وتمّ صدوره بعد رواية يا صاحبيّ السجن التي أثارت جدلاً شاسعاً أي في عام 2012م، وذكر الشاعر الروائيّ في روايته كيف تمت عملية كتابة هذا الديوان في السجن وكيف هرب كتاباته الشعرية للخارج مع والده أثناء زيارته بعد أن منع من الكتابة في الداخل.

• **ديوان قلبي عليك حبيبتي**: يعدُّ هذا الديوان الشعريّ الثاني للشاعر، ووصف الشاعر ديوانه بأنه جمع بين الحرية والحب والتّصوّف الفلسفيّ فاتّجه به نحو الصوفيّة لتتنفّس العوالم في المادية المغرقة، وانحاز في كتابته إلى عوالم المرأة وما فيها من جمال ساحر وسعى للمزج بين الروح والجسد في تعبيره الشعريّ، صدر هذا الديوان عام 2013م.

- ديوان خذني إلى المسجد الأقصى: صدر هذا الديوان عام 2013م.
- ديوان الزّنايق: صدر هذا الديوان عام 2013م.
- ديوان طيور القدس: صدر هذا الديوان عام 2016م.¹



الرّوائي أيمن العتوم

¹ : كتاب سطور: نبذة عن أيمن العتوم، آخر تحديث: 10.43 ، 21 نوفمبر 2019 ، <https://sotor.com/>

ملخص الرواية:

تعد رواية يسمعون حسيبها، هي التجربة الروائية الثانية، للكاتب الأردني أيمن العتوم، صدرت الرواية عام 2012، والطبعة الثانية في سنة 2013م وهذه الأخيرة هي محلّ دراستنا، وقد لاقت نجاحا كبيرا، تدور أحداث الرواية في سجن الخطيب وتدم، في الفترة بين عامي 1880 و 1997، حول طبيب سوري سجن ظلما كسجين سياسي، واتهامه بأنه أحد شباب الإخوان المسلمين.

تتحدث الرواية عن طبيب سوري وهي عبارة عن مذكرات له قد رواها على لسانه أيمن العتوم، الطبيب إياد الذي عاش سبعة عشر عاما في السجن، وقد تم الإمساك به أثناء عمله، حيث قبل هذا حاول إياد أسعد أن يتمكن من الهروب مع العلم أنه محاصر بقوات عسكرية، لكن لم تكتمل خطة الهروب وتم إطلاق النار على ساقه مما أدى إلى إصابته ومن ثم تم اعتقاله لمدة عامين في الفرع الأمن الذي يسمى فرع الخطيب، كانت تهمة بأنه منتسب إلى خلية إرهابية حاولت اغتيال الرئيس، وتم التحقيق معه عن انتسابه لهذه الخلية كان في كل يوم يعيش تجربة الموت أكثر من مرة خلال التعذيب والإهانة، ولم يكن إياد لوحده كان هناك العديد من السجناء يلقون نفس العذاب او أكثره، وبعد مدة تم تحويله إلى سجن تدمر في سوريا من المعروف ان هذا السجن من أكثر السجون عذابا وسوءا في العالم.

في سجن تدمر كل شخص يجب أن يعيش العذاب كل الوقت، فمن أول لحظة يتم استقبالهم بالعصي والضرب وبعضهم يموت من اثر الضرب، ويتعرضون للإساءة اللفظية في الأعراض والكرامات دوما، وأما الزنزانة صغيرة لا تتسع بهم حتى عندما ينامون تكون

ضيقة عليهم والأكل قليل ملوث بالحشرات, وعندما يخرج السجناء يقومون بتعذيبهم فيعودون لتضميد جراحهم, وقد أصيب بعض السجناء بالجنون وبعضهم كفر وبعضهم انتحر.

وبعد عدة أيام يعرف إياد ان أخاه أحمد أيضا معتقل, ثم يموت أحمد إعداماً مما يزيد من حجم معاناته المتواصلة مرت السنين على هذه الحال, وكان إياد يساعد المعتقلين من خبرته كطبيب وكما عمل على تقوية نفسياتهم, وفي نفس الوقت يستحضر أهله ويتذكرهم دائماً ويحن إليهم متمنياً أن يخرج ويراهم.

بالرغم من مروره بكل هذه الظروف التي يصعب على أي بشر تحملها ظل صامداً, ولم يفشي بما يعرف حيث كان يتأكد من أن المعتقل إذا قام بإفشاء, ما يعرفه من الممكن أن يقتل أو يتم استخدامه كأداة إرهاب لزملائه المعتقلين الذين ظلوا صامدين, بقي إياد سبعة عشر عاماً بعد كل هذه المعاناة لم يستسلم, ودوماً ما يتذكر أيامه في القرية ومع عائلته تشبث إياد بالحياة داخل ذلك الجحيم, وارتباطه بابنته التي استطاعت ذكراها ان تبقي على وجوده حيث اعتقل وهي ابنة ربيع واحد, ظل يتخيلها تكبر بمرور السنين ويحاورها من بين ركام العذاب حتى التقاها بعدما تم الإفراج عنه حينها أصبحت ذات ثمانية عشر عاماً, تلقى إياد في هذه الفترة أشد أنواع التعذيب والقهر لدرجة ان شكله تغير, وصار هزيلاً جداً لم تتعرف عليه زوجته.

عاد الطبيب إياد من الموت ان صح القول اذ سرقت من حياته سبعة عشر عاماً من الظلم والتعذيب, والقهر لم يكن إياد الوحيد في ذلك السجن بل كان مجرد مثال عما كان يحدث وراء القطبان في ذلك الوقت.



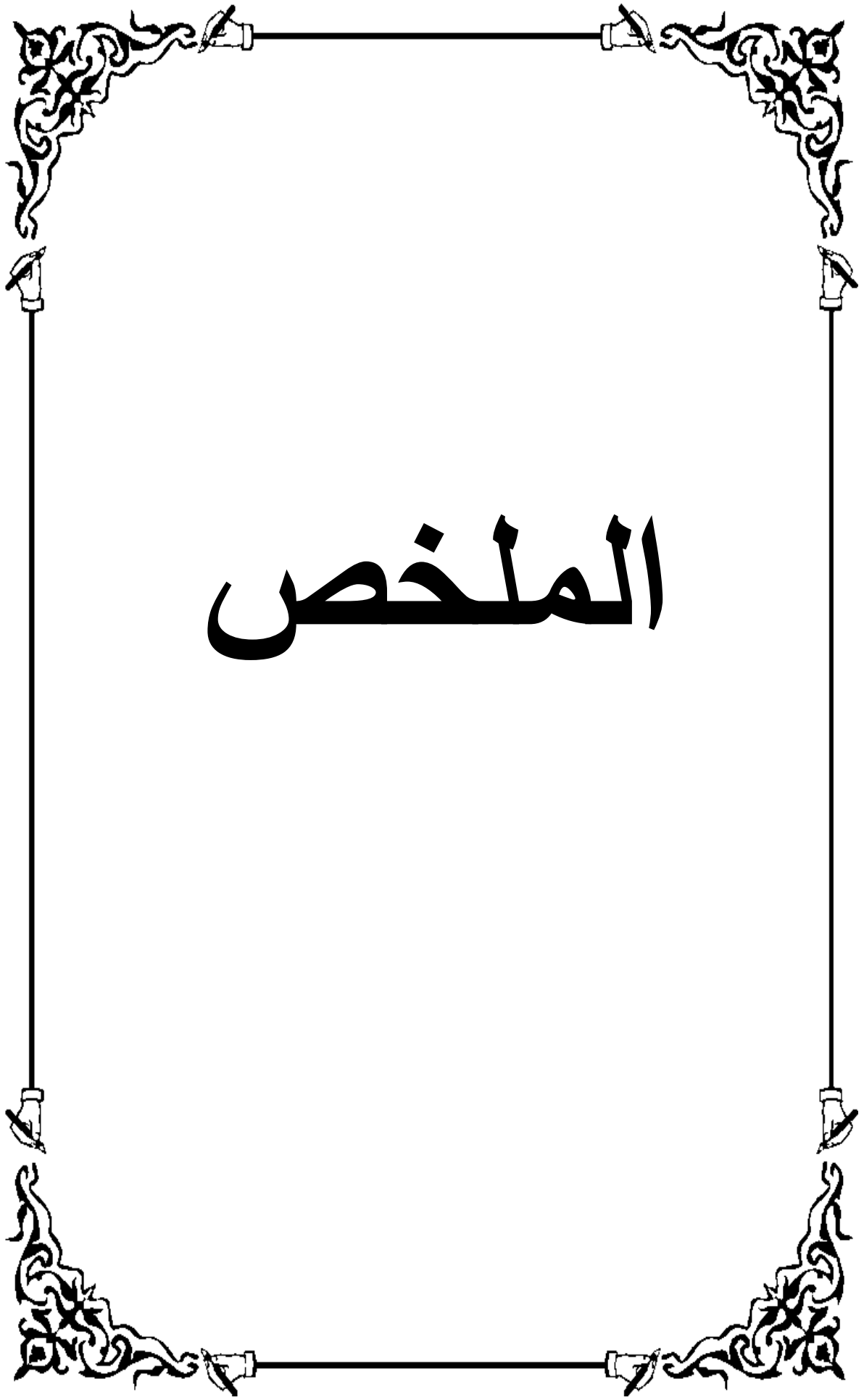
فهرس الموضوعات

المحتويات

ب.....	شكر وعرفان
أ.....	مقدمة:
3.....	الفصل النظري: <u>اصطلاحات ومفاهيم في منهج الدراسة</u>
4.....	المبحث الأول: جوهر الكيان المأساوي.
4.....	المطلب الأول: المأساة والمأساوي تداخل المفهومين وافتراقهما.
4.....	أولا/ عند ارسطو:
4.....	ثانيا/ عند جان راسين:
4.....	المطلب الثاني: البطل الاشكالي والاعتراب.
4.....	أولا /البطل الاشكالي.
6.....	ثانيا /الاعتراب(الاستلاب).
9.....	المبحث الثاني: القلق الوجودي بين السببية والحتمية:
9.....	أولا/ الوجودية: ماهيتها (تعريفها):
10.....	ثانيا/ مقولاتها (مبادئها):
10.....	الفلسفة الوجودية تقوم على عدة مبادئ تتلخص كالاتي:
17.....	ثالثا: القلق الوجودي وعلاقته بالوجودية:
17.....	أ/ القلق الوجودي:

ب/ القلق الوجودي ومفهومه الفلسفي:	18
ج/ القلق الوجودي وعلاقته بالوجودية:	21
الفصل التطبيقي: مقارنة معرفية فلسفية في رواية: يسمعون حسيها؛ معاشات سجين تدمري 1980 - 1997	22
المبحث الأول: المسببات والآثار في الرواية.	21
المطلب الأول: المسببات:	21
أولاً: الرواية والتأسيس للبطل الإشكالي:	21
ثانياً: أنماط الاغتراب في الرواية:	25
أنواع الاغتراب:	26
المطلب الثاني: الآثار	32
أولاً: ملامح الوجودية في مدونة الدراسة:	32
ثانياً: تجليات القلق الوجودي في الرواية:	37
الخاتمة:	102
قائمة المصادر والمراجع:	93
ملحق	96
الملخص:	111

المُلخَص



ملخص:

عالج هذا البحث إشكالية جوهرية تتمثل في كيفية تجلي مظاهر المأساة عند الشخصية في رواية "يسمعون حسيسها؛ معاشات سجين تدمري 1980-1997" للكاتب أيمن العتوم، وكذا مسبباتها وآثارها النفسية.

لهذا استعرنا مقولات الفلسفة الوجودية واتخذناها منطلقا منهجيا قاربنا عبره نص الرواية / مدونة الدراسة.

وقد خلصنا إلى أن القلق الوجودي عند الإنسان واغترابه المزمع عن طبيعته وعن أخيه الإنسان في هذه الرواية شكلت عوامل جدلية في خلق المأساة وتغذيتها، فهي تارة سبب في صراع الأيديولوجيات (المثالية والشمولية) أفضى إلى استلاب الحرية، وتارة أخرى نتائج حتمية وآثار نفسية للمأساة في حد ذاتها.

ولأن الرواية/ محل الدراسة ما هي إلى نموذج من سلسلة روايات للكاتب تستلهم سيرا غيرية تعكس رؤية للعالم تلخصها مقولة توماس هوبز: " الإنسان ذئب لأخيه الإنسان " نقترح دراسة الروايات الواقعية من منظور نفسي للوقوف على خلفيات سلوك الأفراد والجماعات واختبار حقيقة مقولة هوبز في مقابل مقولة جون جاك روسو: " الإنسان خير بطبعه ما لم تتدخل مؤسسات المجتمع".

الكلمات المفتاحية: المأساة، رواية " يسمعون حسيسها"، أيمن العتوم، الفلسفة الوجودية، القلق الوجودي، الاغتراب/ الاستلاب.

abstract:

This research tackled a fundamental problem represented in how the character's tragedy manifest itself in the novel "They Hear The Slightest Sound of it : experiences of aTadmurean Prisoner 1980-1997" by Ayman Al-Atoum, as well as its causes and psychological effects.

That is why we borrowed the sayings of the existential philosophy and took it as a methodical starting point, through which we approached the text of novel/ blog of study.

We have concluded that the existential anxiety of man and his chronic alienation from his nature and his mankind in this novel constituted dialectical factors in creating and feeding tragedy, as it is sometimes the cause of the ideological conflict (between idealism and totalitarianism) that led to a alienation of freedom, and at other times inevitable consequences and psychological effects of the tragedy in itself.

And because the novel / subject of study is a model from a series of novels by the writer, inspired by heterobiographies that reflects a vision of world summarized by Thomas Hobbes's saying: "Man is a wolf to man", We propose to study realistic novels from a psychological perspective to find out the backgrounds of the behavior of individuals and groups, and to test the truth of Hobbes's view, versus John Jacques Rousseau's vision (A man is good by nature unless the institutions of society interfere).

Key words: the tragedy, the novel "They Hear The Slightest Sound of it", Ayman Al-Atoum, existential philosophy, existential anxiety, alienation.